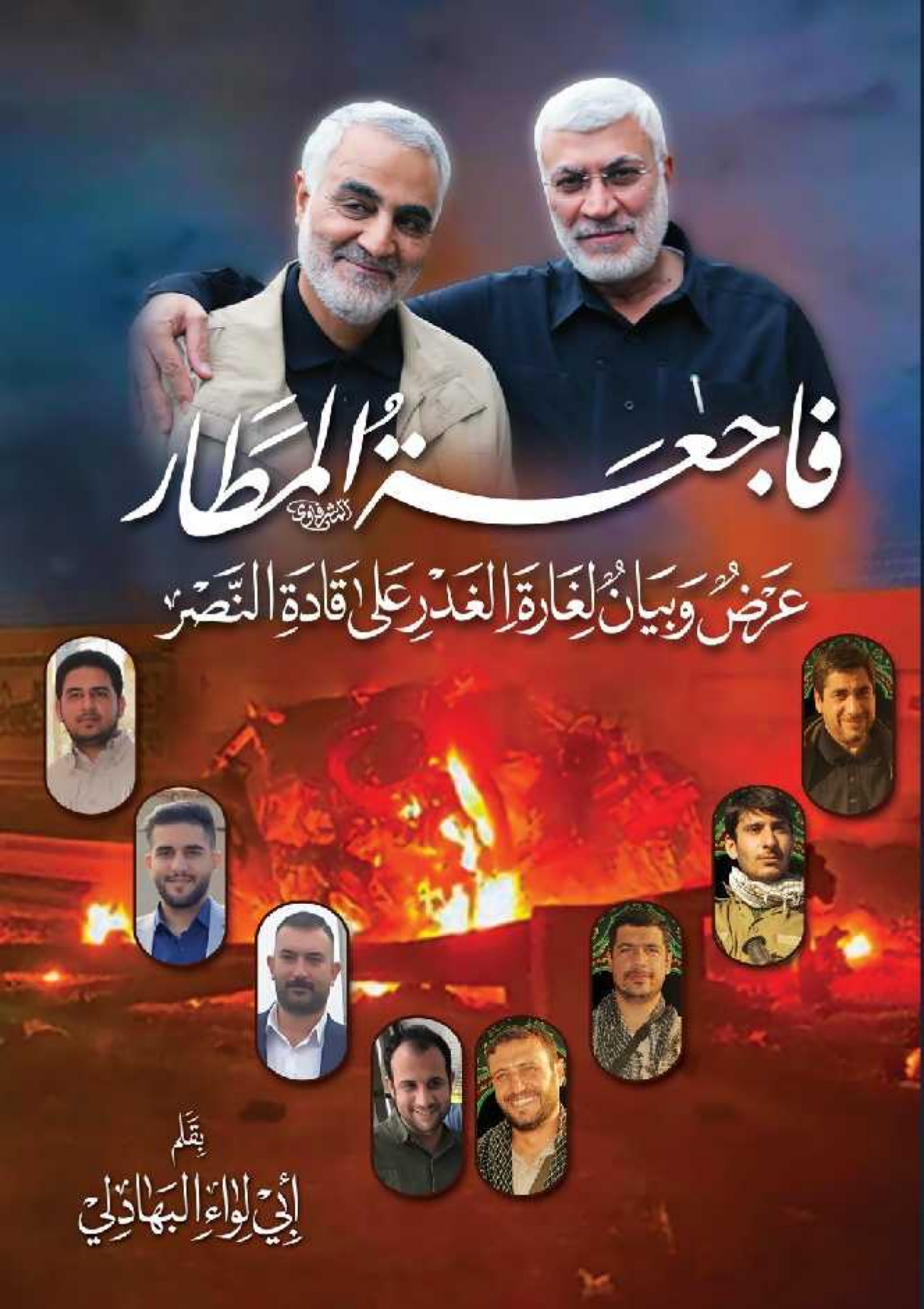

فاجعة المطار

عرض وبيان لغارة الغدر على قادة النصر

بقلم

أبي لواء البهادلي

فاجعة المطار

اسم الكتاب: ..... فاجعة المطار
المؤلف: ..... أبو لواء البهادلي (عماد سالم)
سنة الطبع: ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م
القياس: ..... ١٧×٢٤
عدد النسخ: ..... ٥٠٠٠ نسخة
تيليغرام: ..... @Alnour313

٩٢٠
ب٩٢٤ البهادلي، عماد سالم أبو لواء،
فاجعة المطار/عماد سالم أبو لواء البهادلي.
١- كربلاء: دار الوارث للطباعة والنشر،٢٠٢١
٢٧٢ص؛ ٢٤سم
١- الشهداء-تراجم-أ- العنوان،
م.و
٢٠٢١/٤٥١٠

المكتبة الوطنية / الفهرسة اثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٤٥١٠) لسنة ٢٠٢١م

فاجعة المطار الشرقاوي

عرض وبيان لغارة الغدر على قادة النصر

بقلم

أبي لواء البهادلي

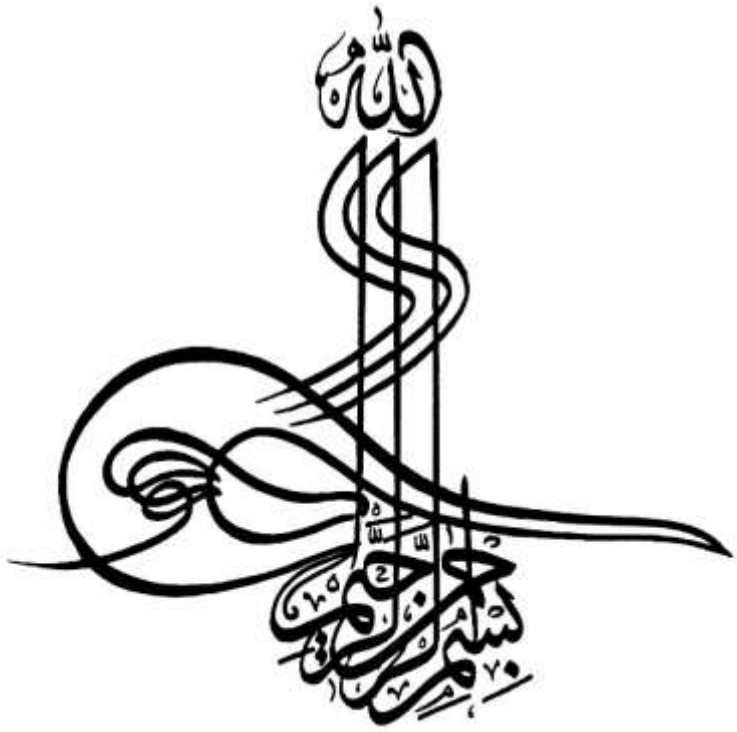
الله
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حتّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾

سورة البقرة: ١٢٠.

الإهداء

إلى صاحب العصر والزمان بقيّة الله في الأرضين الإمـام المهـدي عجل الله تعالى فرجه الشريف صاحب الثأر.

إلى أولياء الدم.

وطالبي الثأر.

والسائرين على طريقهم.

للباكين على فراقهم.

ولمَن قال عنهم قادة النصر.

لكم جميعاً أهدي كتـابي؛ حبّـاً لجمـال الشـهداء، وقاسـم الجبّـارين، ورفاقهم المغدورين.

كلمة مدير الإعلام:

مُخطئٌ مَن يظنّ أنَّ عصر تزييف التاريخ قد ولّى في الزمن الحاضر مع وجود التكنولوجيا الحديثة ورواج التوثيق الشفوي؛ فإنَّ نفس هذه التكنولوجيا اليوم تسهم في تزوير التاريخ المعاصر لصالح دول عظمى استكبارية، تمتلك وتسيطر على جميع التقنيّات الفنّية المستخدمة في ذلك.

وقد قيل "إنّ المنتصر هو مَن يكتب التاريخ" فأصبحت كتابة التاريخ ضرورة ملحّة من قبل المنصفين والمحبّين، بالأخص لموضوع حسّاس يتعلّق بقادة النصر الذين توّجت بطولاتهم وانتصاراتهم باستشهادهم بطريقة كانوا يتمنّونها على أيدي أشدّ الأعداء للإسلام والمسلمين، بل الأشدّ عداءً لدعاة التحرّر من الاستكبار العالمي والهيمنة الصهيونية الأمريكيّة على مقدّرات الشعوب الفقيرة في العالم.

أبو لواء البهادلي، هذا المجاهد الذي نَذَرَ نفسَه في السنين الماضية لتوثيق الشهداء في كتابه الرابع الرائع، يتحدّث بجزئيّات منفردة ودقيقة عن الجريمة الغادرة التي ارتكبتها إسرائيل وأميركا، بقتلهم قادة النصر على الإرهاب، القائد الإسلامي الكبير قاسم سليماني، والقائد الإسلامي الكبير أبو مهدي المهندس، مع مَن رافقهم. هذه الجريمة النّكراء هزّت العالم والتي طرحت السؤال التالي " كيف تجرأت أميركا النّكراء تدّعي محاربتها الإرهاب على قتل القادة الذين قضوا على الإرهاب العالمي؟! " .

الكتاب يحتوي على بعض المشاهد والروايات الحسّاسة، الّتي قد تمسّ البعض أو تثير الجدل، لكنّه يعتبر وثيقةً تاريخيةً صادقةً تروي ما حصل فعلاً في مطلع عام ٢٠٢٠م؛ ووفاءً لدماء الشهداء، آثرنا على أنفسنا أن نطبع هذا الكتاب دون مجاملة لأحد، أو غضّ النظر عن أيّة معلومة؛ فإنّ المسؤولية الأخلاقية والقانونية والعقائدية حالت دون أن نوثّق جريمة الاغتيال بغير هذه الطريقة، الّتي نراها مبريةً للذمّة أمام قادة نتشرف أنّنا عملنا بين أيديهم لسنين عديدة .

وفي نهاية هذه الكلمات المختصرة، أجدّد الإعراب عن اعتقادي ـ كما يعتقد الكثيرون مثلي ـ بأنَّ جريمة مطار بغداد قد غيّرت من مجرى العالم، وستغيّر من مكانة أميركا وإسرائيل وحلفائهم في المنطقة، ولكم في التاريخ عبرة، ففي يوم ما كان هنالك يزيد، وكان هنالك حسين، فقتل يزيد بجبروته الحسين وأهل بيته وأصحابه بجريمة مروعة، فانتهت بعدها دولة آل أمية وكلّ من نصرهم ذُلّ وأُهين ، وتغيّرت حياة العالم من ذلك الوقت، وأصبح العالم يمجّد الحسين عليه السلام ويلعن يزيد وأتباعه .

مهند نجم العقابي
مدير مديرية الإعلام العام في هيئة الحشد الشعبي
١٥/ ١٢/ ٢٠٢١م

المقدّمة:

منذُ كتابتي لكتاب جمال الشهداء الذي تحدّثتُ فيه عن قصص ومواقف من حياة الحاجّ المهندس، اطّلعتُ على الكثير من المعلومات والتفاصيل الخاصّة عن ليلة ٢٠٢٠/١/٣م تلك الليلة الدامية التّي أخذت منّا أملنا، بل والأمل.

أخذتُ على عاتقي، أن أدوّن كلَّ تلك الأحداث المهمّة بأدق تفاصيلها في هذا الكتاب.

دوّنت هنا كلَّ الأحداث، منذُ ليلة العدوان الأمريكي على قطعات الحشد الشعبي في قضاء القائم يوم ٢٠١٩/١٢/٢٩م، مروراً بأحداث السفارة الأمريكيّة في بغداد يوم ٢٠١٩/١٢/٣١م، وانتهاءً بيوم ٢٠٢٠/١/٩م، اليوم الذي دُفن فيه الحاجّ المهندس ورفاقه بمقبرة وادي السلام.

أحداث ١٢ يوم فقط أخذت منّي أكثر من ١٨ شهر، كلّ الكتابة والمتابعة اللغويّة والإخراج لم يأخذ منّي أكثر من ٦ أشهر، و ١٢ شهر بأكملها ذهبت سدى بين مواعيد الحاجّ الفلاني وفلان، خمسة أيام على التوالي أنتظر لقاء ساعة واحده فقط، ولم يحن موعد اللقاء حتّى انتهى الكتاب.

أيام وليالي وأنا أنتقل من محافظة إلى أخرى؛ حتّى أحظى بلقاء شخص كان رفيقاً لي في ساحات الجهاد؛ ولكن تعبت أقدامي ولم أحظ بذلك اللّقاء، ولم أدوّن له أيّ شيء!

وصديقٌ آخر قال لي: غداً سنلتقي وأتحدّثُ لك عن كلّ ما تريد، والآن مضى على غد عام بأكمله، ولم يجب على اتصالاتي بعد!

قسماً بالله وتلك الليلة التّي أخذت منّا الحبيب. شعرتُ بالذلّة وأنا أنتظر أناس لا يستحقّون الانتظار؛ لكن مشيئة القدر جعلتهم شهوداً على أحداث مهمّة جدّاً. في كلّ يوم أتخذ قراراً بإلغاء هذا الكتاب والكفّ عن تدوين تلك الأحداث عن طريق هكذا أناس لا تحترم الموعد والكلمة، ولكن في كلّ مرّة أتراجع؛ احتراماً للأخ العزيز مهنّد العقابي الذي بذل كلَّ شيء من أجل تدوين تلك الأحداث في كتاب يبقى شاهداً ومصدراً رسميّاً للأجيال.

ونظراً لقرب المسافة بين محل سكناي وقبر الحبيب، صرتُ أذهبُ ليلاً وأنحني بجانبه وأهمس عند موضع الرأس، وأنا على يقين أنّه يسمع حتّى أنفاسي، وكثيراً ما أقول له: ساعد الله قلبك حجّي كيف تحمّلت أن تجاري كلّ تلك الناس من أجل مصلحة بناء الحشد الشعبي، والحفاظ على تلك المؤسسة؟! فأنا لا شيء أمامك، ولم أستطع أن أتحمّل مقدار مواعيد غير منضبطة فكيف بك أنت؟!

تعبتُ كثيراً بين السفر والصبر، لكن الحمد لله أشعر الآن بأنّي قطفت ثمار جهدي بما أحصيتُه في هذا الكتاب.

شعرتُ بأنّ أيادي الشهداء المقطّعة هي من تأخذ بيدي من أجل أن أكتب عن تلك الأحداث والليلة الدامية؛ لتطّلع عامّة الناس على مظلوميتهم في هذا الكتاب الذي وسمتُه بـ (**فاجعةُ المطارِ**).

عماد سالم
ابو لواء البهادلي
النجف الاشرف/١٣/ ١٢/ ٢٠٢١م

لماذا يستقبل الحاجُّ المهندسُ الجنرالَ قاسمَ سليماني؟

الدكتور علي الخفّاف[1]:

عام ٢٠١٧م تحديداً في عمليات تحرير قضاء القائم في محافظة الأنبار، حدث أمرٌ أزعج الحاج المهندس كثيراً، وبعد عدّة أيام علمنا أنَّ سبب انزعاج الحاج المهندس، هو أنّ دولة رئيس الوزراء السابق حيدر

(١) الدكتور علي شاكر الخفاف، المدير العام لمعاونية شؤون المقاتلين في هيئة الحشد الشعبي.

العبادي، أمر أمن المطار في مطار بغداد الدولي بتفتيش الطائرة الخاصّة بالحاج قاسم سليماني، كما أوصى بعدم مروره بالممر الخاص بالضيوف، وطلبوا منه أن يمرّ من ممر المسافرين، علماً أنّ الحاج قاسم سليماني دخل العراق بصفة رسميّة واسمه مسجّل لدى الحكومة العراقية تحت عنوان مستشار عسكري، لكن نحن على يقين بأنّ الأمريكيين هم مَن طلبوا ذلك. لم يرفض الحاج سليماني ذلك الأجراء المستفز، كما لم يخبر الحاج المهندس بذلك الأمر إطلاقاً.

لكن خلال ساعات علم الحاج المهندس من مصادر خاصّة بما جرى مع الحاج سليماني في مطار بغداد، انزعج الحاج المهندس كثيراً وقال: الذي حدث اليوم مع الحاج سليماني إهانة لنا ولضيفنا، كما إنّي أتحدّى رئيس الوزراء بشخصه أن يستطيع تفتيش عامل بنغالي يعمل خادماً في السفارة الأمريكيّة.

وفي ذات الليلة ذهب الحاج المهندس إلى رئيس الوزراء.

المؤلّف: ماذا حدث في تلك الليلة؟ ماذا أخبر الحاج المهندس العبادي عندما ذهب له منزعجاً؟

الخفّاف: لا أريد أن تكتب كلَّ شيء، لكن أستطيع أن أقول لك: بأنّه بعد ذهاب الحاج المهندس إلى حيدر العبادي، لم يتجرأ أحدٌ على النظر في جواز الحاج قاسم سليماني مرّةً أخرى، ولا إيقافه كما حدث

سابقاً، ومنذ تلك الحادثة التّي حصلت مع الحاج سليماني، أخذ الحاج المهندس على عاتقه استقبال وتوديع الحاج سليماني؛ خوفاً من أن يتكرّر معه ذلك الموقف، مع علمه بأنَّ رئيس الوزراء لا يستطيع أن يفعلها مرّةً أخرى بعد زيارة تلك الليلة.

صورة من اعتداء الإحتلال الأمريكي على قوات الحشد الشعبي في قضاء القائم عام ٢٠١٩م

القائم[١]:

منذُ عمليات تحرير الشريط الحدودي بين العراق وسوريا عام ٢٠١٧م ومسك المنطقة بشكل كامل من قبل مجاهدي الحشد الشعبي، جُنّ جنون أمريكا التّي جاءت بداعش أمام مرأى ومسمع العالم.

---

(١) قضاء القائم يقع غرب العراق ويبعد عن العاصمة بغداد ٤١٤كم، يضم أربعة مدن وأكثر من ٥٠ قرية، يقدر تعداد سكان القضاء والنواحي التابع للقضاء بحسب تقديرات وزارة التخطيط بحوالي ١٥٠ الف نسمة عام ٢٠١٤م، كان يعتبر منطقة تجارية هامة، ينتمي اهالي قضاء القائم في الغالب لعشائر الكرابلة والبومحل والبومفرج والبوعبيد والسلمان من قبيلة الدليم والكرابلة والموالي والراويين والبوحردان. سقطت المدينة بيد تنظيم داعش في ٢٠ حزيران ٢٠١٤م بعد معركة دامت لخمسة أيام، حررت عام ٢٠١٧م على يد ابطال الحشد الشعبي.

فبين ليلة وضحاها أصبحت القواعد الأمريكيّة تتعرّض إلى هجمات صاروخية متكرّرة، بلا أيّة مقدّمات تُذكر، ولا تهديد أو وعيد من قبل رجال المقاومة، الذين عرفوا بأنّهم إن أردوا مهاجمة الاحتلال الأمريكي لا يخشون أحداً مهما بلغ.

وفي كلّ استهداف صاروخي يطالهم كما يدّعون، يصرّحون علناً بأنّ ميليشيات مسلحة موالية لإيران تستهدف قواعدهم.

افتعلت أمريكا مراراً وتكراراً ضرب المدنيين بصواريخ الكاتيوشا، بذريعة أنّها صواريخ للمقاومة تسقط على المدنيين، وبالمقابل لم تعلن أيّة جهة مسؤوليتها عن الاستهداف، فلماذا تصرّ أمريكا على أنها ضربات من المقاومة؟

وهذا ما حصل مع قاعدة (K1) في محافظة كركوك، حيث ادّعت أمريكا أنّها تعرّضت لضربة صاروخية راح على إثرها متعاقد أمريكي، ورداً على ما ادّعوا، هاجمت طائرات الاحتلال الأمريكيّة الشريط الحدودي بين العراق وسوريا، وخلّف عدوانهم القذر ٢٦ شهيداً وعشرات الجرحى، الذين لا تقلّ إصابتهم عن فقد أطرافهم، علماً أنّ جميع الشهداء هم من مقاتلي الحشد الشعبي، الذين سهروا الليالي من أجل حماية الحدود، ومنع تسلّل عناصر داعش الإرهابية من الأراضي السوريا.

ولـو افترضـنا جـدلاً أنّ أمريكـا ردّت ثـأراً لمقتـل الجنـدي الأمريكـي، فلمـاذا يكـون ردّهـا دائمـاً علـى الشـريط الحـدودي حصـراً؟! فقطعـات الحشـد الشـعبي فـي كـلّ مكـان لمـاذا الشـريط الحـدودي بـين العـراق وسوريا حصراً؟

علمـاً أنَّ هـذه الضـربة الثالثـة تقريبـاً فـي ذات المكـان، وتلتهـا ضـربتان بعـد شـهادة قـادة النصـر، كـذلك طـال القصـف الشـريطَ الحـدودي أيضـاً، وأعتقـد أنَّ الرسـالة الأمريكيّـة واضـحة جـدّاً والـذي مفادهـا اتركـوا الحدود وشأنها.

الدكتور عادل عبد المهدي[1]:

طبعـاً التحرّكـات المتسـارعة متداخلـة مـن عـدّة جهـات معقّـدة جـدّاً، فيهـا تراكمـات كثيـرة وأزمـات، فالأحـداث بـدأت تتصـاعد منـذ الصـيف، البـدء بانفجـارات ..قصـف.. اسـتهداف مقـرّات للحشـد إلـى آخـره، وكانـت اللغـة كلّها تصعيدية في تلك الفترة.

لكن الحدث الأهم هو ما حصل في قضاء القائم، وردني اتصال من وزير الدفاع الأمريكي اسبرو، وقال لي: تمّ قصف قاعدة(K1) الأمريكيّة في محافظة كركوك، وسقط أمريكي قتيل وآخرون جرحى، ونحن سنرد على ذلك

(١) النص مقتبس من لقاء خاص اجرته مديرية الإعلام العامة في هيئة الحشد الشعبي مع الدكتور السيد عادل عبد المهدي رئيس الوزراء السابق.

بقصف قواعد، لما سمّاه الميليشيات، قلت له: إنّكم ستقومون بقصف قواعد كلّها قواعد عراقية، وهذا سيعتبر خرق وهذا سيقودنا إلى مجاهيل وأمور خطيرة كبيرة، قال: يجب أن نردّ وأنا مكلّف بتبليغكم رسمياً بأنّنا سنقوم بهذا العمل بعد ساعات، قلتُ له: أرجوك لا تقوموا بهذا العمل، دعنا نلتقي، دعنا نتحدّث، دعنا نأخذ وقتاً؛ لأنّ هذا سيقود إلى تداعيات خطيرة، أصرَّ على كلامه، ثمّ قال: سأنقل وجهة نظرك إلى الرئيس ترامب، لكن نحن مصمّمون على هذا العمل، وبمجرّد أن أغلقتُ الهاتفَ اتّصلتُ على القيادة العسكرية العراقية وأبلغتُهم بأنّه سيحصل قصف أمريكي على القواعد العراقية، واتّصلت فوراً بالشهيد الأخ الحاج المهندس، وعندما كلّمته كانت المحادثة بحدود الساعة السادسة والنصف، أو السابعة إلاّ ربع مساءً، من يوم ٢٠١٩/١٢/٢٩م عندما كلّمته قال لي الحاج المهندس: إنّ القصف الأمريكي قد بدأ، يعني لم نعط ساعات وإنّما بحدود عشرة دقائق فقط حدث القصف، وطبعاً وقع عدد كبير من الشهداء والجرحى.

فقبل قصف القائم قلت للأمريكان: لدينا تحقيق ولا زال التحقيق مستمراً، وأنّ هذه المنطقة ليس فيها تواجد من مجاميع الحشد الشعبي أو فصائل المقاومة، ويجب أن نستمر في التحقيقات والتعاون المشترك؛ لكي نمنع حصول مثل هذه الأمر مرّة أخرى.

علي الخفّاف:

بتاريخ ٢٠١٩/١٢/٢٩م تعرّضت قوات الحشد الشعبي الماسكة للشريط الحدودي بين العراق وسوريا في قضاء القائم إلى هجوم عدواني أمريكي بواسطة الطائرات الحربية، خلّف ذلك العدوان الهمجي أكثر من ٢٦ شهيداً وما يقارب ٥٠ جريحاً، أغلبهم أصيبوا بإصابات بالغة، قبل أن يعلم الحاج المهندس بتعرض قطعاتنا إلى هجوم عدواني كان يمرّ بوعكة صحيّة حرجة جدّاً، وكنتُ مصرّاً على أن يسافر إلى عائلته كي يرتاح قليلاً، لكن خبر شهداء القائم حال دون ذلك، كما ساءت حالة الحاج المهندس كثيراً. بقيتُ قريباً منه كثيراً حتّى يبقى تحت نظري؛ لأنّني كنت أخشى أن يغمى عليه في أيّ لحظة، كنت أقول له: حجي هذا العلاج الذي تتلقاه الآن لا ينفع لا بد أن ترتاح، جسدك منهك ويحتاج إلى الراحة حتّى يستجيب للعلاج، فكان يجيبني بابتسامة يملاؤها الحزن، أوصاني بتركه وهو بهذا الحالة وأمرني بمتابعة وضع الشهداء والجرحى الذين أراد نقلهم بواسطة الطائرات خوفاً عليهم من الطريق البري.

أ ـ ح:

منذُ ليلة ٢٠١٩/١٢/٢٩م ساءت الحالة الصحية للحاج المهندس كثيراً، حتّى أصبح الدكتور علي الخفّاف لا يفارق الحاج المهندس؛ خوفاً من

أن يغمى عليه في أيّ ساعة، كما بقى يشرف على إعطاءه العلاج بأوقاته.

اقتحام السفارة الأمريكيّة:

علي الخفّاف:

بتاريخ ٢٠١٩/١٢/٣٠م طلب الحاجّ المهندس عقد اجتماع عسكري مع قيادة الحشد الشعبي بكلّ صنوفهم.

عقد الاجتماع بعد مضيّ ٢٤ ساعة على العدوان الأمريكي، الذي استهدف قطعات الحشد الشعبي المنتشرة على الشريط الحدودي في قضاء القائم، حضر الحاج المهندس الاجتماع، وكان طوال الوقت صامتاً يستمع لآراء القادة العسكريين، الذين اختلفت آراؤهم بين الرد العسكري الفوري على قوات الاحتلال الأمريكي، وبين الرد لكن بعد

حين، وبين الرأي الأوّل والثاني جاء رأي الحاج المهندس الذي قال به نصّاً: أعزائي العدوان الأمريكي لم يستهدف مقرّات فصائل المقاومة الإسلامية ولا تجمعاتهم، الاحتلال استهدف قطعات الحشد الشعبي الذي هو جزء من المنظومة الأمنية وتحت قيادة رئيس الوزراء القائد العام للقوات المسلحة، وأيّ رد عسكري سيحرج رئيس الوزراء، ونحن لا نريد أن نكون في هذا الموقف، كما عليكم أن تعلموا جيداً أنَّ عدوَّنا واضح ومعروف، وإذا قرَّرنا الردَّ عسكرياً علينا أن نوفّر كافة الإمكانات للمتابعة، فربّما يتحوّل الردّ إلى مواجهات عسكرية.

انتهى الاجتماع بقرار تشييع الشهداء غداً في بغداد حتّى مرورهم من أمام السفارة الأمريكيّة.

خرج الحاج المهندس وهو يتكئ على تلك العكازة الخشبية؛ كي يسند فيها بدنه المتعب، وما إن خرجنا من الاجتماع طلب منّي أن أرافقه إلى مستشفى مدينة الطب؛ ليطمئنّ على أحوال جرحانا الأبطال الذين تعرَّضوا للقصف الأمريكي.

في الساعة ١:٠٠ بعد منتصف الليل أعطيته الجرعة الثانية من العلاج وتوجّهنا إلى مدينة الطب، كنتُ مصرّاً على عدم خروجه ليلاً كي يرتاح ولو لساعات قليلة؛ وذلك بسبب وضعه الصحّي، لكنّه كان لا يبالي لحديثي، وأصرَّ على الخروج بهذه الوقت المتأخّر من الليل.

صورة من زيارة الحاج المهندس إلى جرحى الاعتداء الامريكي في قضاء القائم

زار الحاج المهندس الجرحى واحداً تلو الآخر، ثمّ صار يقبّلهم من جراحهم، ووعدهم بالثأر، حيث قال لهم: إنَّ دمائكم ودماء رفاقكم الشهداء لم تذهب سدى مهما كان الثمن.

أوصاني بالاهتمام بهم كثيراً، وقال لي: إذا احتاج الجرحى أن ينقلوا إلى مستشفيات خاصة انقلهم فوراً، كما أوصاني بمتابعة أوضاع عوائلهم وأوضاعهم المعيشية وما شابه ذلك.

في الساعة ٣:٠٠ صباحاً عدنا من زيارة الجرحى، طول اليوم الذي مضى بأكمله، ونحن الآن على أعتاب اليوم الثاني، والحاج المهندس لم ينم ولو لساعةٍ واحدةٍ فقط، كنت خائفاً جدّاً من أن يحدث له أيّ مكروه لا سمح الله، في حال إصراره على عدم الراحة وترك العراق، أوصلته إلى غرفته الخاصّة، و طلبت منه أن ينام قليلاً حتّى يستجيب جسده للعلاج، قال لي: إن شاء الله، وقبل أن اخرج أوصاني بأن أكون عنده بعد صلاة الفجر فوراً، من أجل حضور تشييع الشهداء، لم أغيّر ثيابي بعدُ حتّى أصبحت الساعة ٦:٠٠ صباحاً. عدتُ مجدَّداً إلى دار الحاج المهندس الكائن في المنطقة الخضراء وسط بغداد، وتوجّهتُ إلى غرفته الشخصية وما أن فتحت الباب وجدته على سجادة الصلاة جالساً منذُ صلاة الفجر، وهذا يعني أنّه لم ينم إطلاقاً، شعرتُ بالأسى كثيراً وأنا أراه متعباً أمامي، وهو مصرٌّ على عدم الراحة، وكأنّه في سباق مع الوقت!

قلتُ له: حجّينا العزيز كلّ الأدوية التّي أعطيها لك أصبحت لا تنفع شيئاً ما لم تسترح وتنم. رفع رأسه وقال لي نصّاً: عزيزي علي، أعطني العلاج بأوقاته، شرط أن يبقيني مستيقظاً ليلاً ونهاراً، ولا تبالي بشيء.

غيّرت كلّ الأدوية، مع زيادة الكمّية، ولم ينفع معه أي شيء، طبعاً هذا بسبب القلق الفكري وانشغاله وتفكيره المستمر بشؤون الدولة، أصبح للحاج المهندس مشكلة حقيقية مع النوم. علماً أنّه في الأيام الطبيعية، كان ينام ثلاث

ساعات فقط من أصل ٢٤ ساعة، وأغلب الأدوية التّي أعطيها للحاج المهندس، صارت لا تنفع معه، حتّى الأدوية التّي كنتُ أعطيها له من أجل أن ينام و يرتاح، صارت لا تنفع معه.

عندما يكون الحاج قاسم سليماني موجوداً في العراق، ينتهي جدول الحاج المهندس يومياً عند الساعة ٣:٠٠ صباحاً، ويبدأ عند الساعة ٥:٠٠ صباحاً، وهذا يعني أنّه لم يستطع أن ينام حتّى ساعة واحده فقط، وهو في هذا العمر الذي يحتاج فيه إلى أكثر من سبع ساعات نوم يومياً.

حين كنت أراه متعباً أتألّم عليه كثيراً، كما كنتُ أطلب منه دائماً أن يسافر إلى عائلته في طهران من أجل أن يرتاح، أنا على يقين ــ بحكم عملي وقربي من الحاج المهندس ــ أنَّه ما دام موجوداً في العراق سيبقى قلقاً ومشغولاً كثيراً؛ لذلك كنت أطلب منه دائماً أن يسافر.

علماً أنَّ الحاج المهندس لم يسافر إلى عائلته ولم يلتق فيهم منذُ خمسة أشهر أو ربما أكثر، عندما أسأله عن وضعه الصحي وهل تحسّن على العلاج الجديد؟ يقول لي: عايش ملك!

كذلك عندما يُسأل من قبل عائلته عبر الهاتف عن وضعه الصحي يقول لهم: عايش ملك.

ابتسمت في وجهة وقلت له: حجي كيف عايش ملك؟! قال لي: بابا علي! هنا كلّها تسأل عنّي والكل يبحث عنّي ويطلبني، هنا وهناك، حتّى عدوّي يطلبني ويبحث عنّي، وهذا يعني عايش ملك!

أبقى مبتسماً وأنا أستمع له، مع علمي التام بألمه وشدّة مرضه، لكن كان لا يبالي لشيء مهما كان حتّى وإن كان على حساب صحّته وروحه.

أكثر ما كان يؤذي صحّة الحاج المهندس هو الكتمان، إذ كان كتوماً جدّاً حين يتعرّض للضغط النفسي أو يؤذيه شخصٌ ما يبقى صامتاً، وهذا ما يؤثّر على وضعه الصحي سلباً.

وفي صباح يوم ٢٠١٩/١٢/٣١م وصلنا برفقة الحاج المهندس إلى ساحة الحرية وسط بغداد، للمشاركة في تشييع شهداء الحشد الشعبي اللذين استشهدوا نتيجة العدوان الأمريكي الذي استهدف قطعات الحشد الشعبي في قضاء القائم، سرنا بتشييع الشهداء حتّى وصلنا إلى مدخل المنطقة الخضراء، وهنا عبر المشيعون الجسر الرابط بين الخضراء والجادرية، حتّى وصلوا أمام الشارع الرئيسي المؤدّي إلى سفارة الشيطان الأكبر

أمريكا، وما إن شاهدوا السفارة أمامهم، هاجموها بالحجارة؛ احتجاجاً على الاعتداءات المتكررة التّي طالت أبنائهم ورفاقهم في الحشد الشعبي.

صورة من مشاركة الحاج المهندس في تشييع الشهداء أمام السفارة الامريكية

اجتمع محبّو الحشد الشعبي، وعوائل الضحايا أمام بوابة السفارة، التّي واجهت المحتجّين السلميين بالرصاص المطّاط والقنابل المسيّلة للدموع، وهذا ما أغضب الشباب وجعلهم يحرقون بواباتها وعدد من العجلات المتوقفة داخل السفارة؛ خلّف الرد الأمريكي على المتظاهرين السلميين أكثر من ٦٠ جريحاً.

أ- ح:

بتاريخ ٢٠١٩/١٢/٣١م أُقتحمت المنطقة الخضراء من قبل ذوي الشهداء والجرحى الذين تعرّض أبناؤهم للقصف على يد قوات الاحتلال الأمريكي في قضاء القائم بتاريخ ٢٠١٩/١٢/٢٩م.

كان الهدف من اقتحام الخضراء هو الوصول إلى سفارة الشيطان الأكبر أمريكا والاعتصام أمامها.

الجميع يعلم أنّ السفارة الأمريكيّة في بغداد، لا تعمل بمهامها كسفارة إطلاقا، ووجودها هو وجود أمني مخابراتي، ودائرة لبثّ الفتنة والحرب الأهلية بين الطوائف العراقية.

استمرّت المظاهرات والاحتجاجات في باب السفارة حتّى غروب الشمس، أنصار الشهداء وأهلهم يريدون البقاء هنا معتصمين؛ كي يطّلع العالم على جرائم الاحتلال الأمريكي في العراق.

الدكتور عادل عبد المهدي:

بعد قصف قضاء القائم، ووقوع الشهداء والجرحى، حدثت مظاهرات في اليوم الثاني عقب تشييع الشهداء، ثمّ دخلوا إلى الخضراء وتوجّهوا إلى السفارة الأمريكيّة، بدأ بعدها الاعتصام، ويعتبر الاعتصام حدثاً كبيراً عند الطرف الأمريكي، فكانوا يعتقدون أنّه سيحصل شيء شبيه ما حصل في الاعتصام أمام السفارة الأمريكيّة بطهران عند قيام الثورة الإسلامية، استمر الاعتصام يوماً واحداً فقط.

قمنا بواجبنا كحكومة بحماية السفارة الأمريكيّة، وقمنا بأكثر ممّا يجب، لكن الأمريكان قالوا: إنّنا مقصّرون!!

علي الخفّاف:

استمرَّ تشييع الشهداء حتّى صلاة الظهر، فصلّينا أمام السفارة الأمريكيّة، وهنا جاء خيار الاعتصام أمام السفارة ليرى العام مطالبنا المتعلّقة بإخراج قوات الاحتلال من بلدنا الحبيب.

علماً أنّ الحاج المهندس كان لا يريد أن يستمر الوضع هكذا، وقال حينها: رسالة الاحتجاج وصلت لهم، كما شاهدوا ردّ فعل الناس وغضبهم من تواجدهم على أراضينا.

صورة لأداء صلاة الجماعة من امام السفارة الامريكية في بغداد

استمرّ الاعتصام أمام السفارة الأمريكيّة، وهاتف الحاج المهندس لا يصمت دقيقة واحدة، عشرات الاتصالات بغضون ساعات، ومن تلك الاتصالات عرفنا أنّ رئيس الوزراء الدكتور عادل عبد المهدي أصبح في موقف محرج؛ لذلك قرّر الحاج المهندس أن يخرج ليلاً متوجّهاً إلى السفارة الأمريكيّة، بلا أيّ مرافقة؛ طلبتُ مرافقتَهم فرفض، وهذا أمرٌ غريب جدّاً أن يرفض الحاج

المهندس مرافقتي له؛ لأنَّه من المعتاد عند الحاج المهندس عندما نأتي له في أمر ما يأخذني معه في جولة لا تنتهي حتّى بعد منتصف الليل، وحينما نعود معاً يسألني ماذا تريد؟ واليوم أنا أطلب مرافقته وهو يرفض، علماً أنّه منذُ مدة ليست بالقصيرة صار يتجنّب أيّة تجمعات لنا، كما صار يرفض مرافقتنا له.

أصرّ على أن يخرج بمرافقة السائق فقط، لكن أنا تابعتُه بعجلة أخرى بغير علمه، كان إصراري على متابعته خوفاً عليه، من أن ينهار في أيّة ساعة بسبب وضعه الصحي المتدهور جدّاً.

وصل إلى الشباب المعتصمين أمام السفارة وطلب منهم إنزال أعلام الفصائل في كلّ مسمياته والاختصار على رفع العلم العراقي فقط، طوال الوقت الذي فيه يتنقّل الحاج المهندس بين المعتصمين لم يفارق وجهه ذلك المصباح المتحرّك (البلوجكتور) فأينما حلّ تكون الإنارة متوجّهة إليه.

عشرات الاتصالات من القادة السياسيين يطلبون من الحاج المهندس فضّ الاعتصام من أمام السفارة الأمريكيّة، وكان يردّ عليهم قائلاً: أعزائي! هذا خيار عوائل الشهداء هم أصحاب الدم لا أنتم.

بعد ساعات من الاعتصام المفتوح، عقد الحاج المهندس اجتماعاً مع الأخوة قادة الحشد الشعبي وقال لهم: رسالة الاحتجاج وصلت، وما تحقّق اليوم أمام السفارة الأمريكيّة هو نصر عظيم وإنجاز نفتخر به، بالسابق كنّا نحن في وضع الدفاع اليوم أصبحت أمريكا هي في وضع الدفاع ويطلبون بواسطة عملائهم فضّ الاعتصام، اعلموا جيداً أنّ أمريكا اليوم شعرت بالتهديد والخطر الحقيقي، وأنا على يقين بأنّهم سيردّون في يومٍ ما.

هاتف رئيس الوزراء الدكتور عادل عبد المهدي الحاج المهندس، وتحدّثوا كثيراً حول الاعتصام أمام السفارة الأمريكيّة، وما إن انتهى الاتصال خرج الحاج المهندس في الساعة ١٢:٣٠ صباحاً المصادف يوم ٢٠٢٠/١/١م برفقة السائق فقط، فالتحقت به من غير علمه باني أسير خلفه، علمتُ أنّه أتَّجه نحو طريق السفارة الأمريكيّة، كما التحق به الفريق أوّل ركن عبد الأمير يار الله، وما إن وصل الحاج المهندس أمام السفارة، توجّهت نحونا الإنارة حتّى أتذكر انّي خلعتُ (القمصلة) التّي كنتُ أرتديها، ووضعتُها ضلاً على الحاج المهندس؛ بسبب قوّة الإنارة، طلب الحاج المهندس من المعتصمين أنهاء الاعتصام والانسحاب فوراً، واستجابة لطلب الحاج المهندس، فُضّ الاعتصام بساعات ورفعت كلّ الخيام.

الدكتور عادل عبد المهدي:

في ليلة ١/١ تلقيتُ اتصالاً من ترامب، بعد إن انسحبت جموع المعتصمين من أمام السفارة، علمنا أنّ للحاج المهندس الدور الأكبر في سحب هذه الجموع وفضّ الاعتصام، وإلاّ هذه الجموع كانت غاضبة، بل وجلبت الكثير من العدّة للبقاء فترة طويلة.

قال لي ترامب في اتّصاله: مَن هم هؤلاء؟ هل هم إيرانيون؟

قلت: لا، إنّهم عراقيون احتجوا على قصف القائم، ونحن حذَّرنا وزير الدفاع (إسبر)، بأن ستكون هناك ردود فعل قويّة وشديدة.

قال: نحن لا نعرف الإيرانيين جيداً، أنتم تعرفونهم أفضل منّا. قلت له: الإيرانيون يقولون: نحن لا نريد الحرب، وأنتم تقولون نحن لا نريد الحرب! فلا يوجد سوى مسارين: الأوّل التفاوض المباشر، وإذا لم يتيسّر فعلى الأقل اتفاقات ضمنية مثل ما حصل عام ٢٠٠٣م ومعرفة الخطوط الحمراء لهذا الطرف ولذاك الطرف. قال: أنتم مفاوضون بارعون تستطيعون التفاوض.

المسيّرات الأمريكية:

أـ ح:

بعد اقتحام البوابات الأولى للسفارة الأمريكيّة وحرقها، لم تخلُ سماء بغداد وتحديداً المنطقة الخضراء من الطيران الأمريكي، على مدار ٢٤ ساعة، أغلب الطائرات الأمريكيّة كانت طائرات حربيه وبعضها طائرات مسيّرة، علماً أنّ أغلب الطيران المسيّر لا يفارق دار الحاج المهندس.

لكن كما هو معروف عن الحاج المهندس أنَّه لا يبالي لتلك الطائرات، لكن كان يحتاط أمنياً من المراقبة والتجسس.

ذات يوم رصدنا أحدى الطائرات المسيرة تحلّق في مستوى منخفض جدّاً فوق دار الحاج المهندس، تسلّق أحد الأخوة المرافقين للطابق

الثاني، بقي واقفاً من أجل إسقاطها، فنزلت الطائرة، بمستوى منخفض جدّاً، فاستطاع أن يمسكها مسكاً بيده.

علمنا حينها كانت تابعة لقوات الاحتلال الأمريكي، وأبلغنا الجهات الأمنية العراقية بذلك، لكن نحن نعلم بأنّ الأجهزة الأمنية مهما بلغت، لا تستطيع محاسبة الأمريكان، ولا حتّى على سؤالهم لماذا تتجسسون على قائد عسكري عراقي؟

علي الخفّاف:

منذُ أيام ليست بكثيرة، تقريباً قبل العدوان الأمريكي على مجاهدي الحشد الشعبي، أصبحت الطائرات المسيرة لا تفارق دار الحاج المهندس؛ لذلك كان دائماً يوصي بغلق النوافذ جيداً، كما أوصى بمنع فتح الستائر مهما كان السبب، وفي أغلب الاجتماعات الأمنية رفض دخول الهواتف الذكيّة إلى قاعات الاجتماعات، منذُ أن عملنا مع الحاج المهندس، لم نره قد اتخذ أي إجراءات أمنيه مهما كان السبب.

كان يتابع الحاج المهندس شخصياً تقارير الاستخبارات والوحدات الأمنية المكلّفة بمتابعة الأمريكان، والتي كانت تشير بتقاريرها الأمنية إلى أنّ هناك طائرات مسيره أمريكية، تراقب حركة الحاج المهندس بشكل دائم، كما هناك نيّه لتوجيه ضربة جويه على بعض قادة الحشد الشعبي، هذا الأمر الذي جعل الحاج المهندس يرفض مرافقتنا إيّاه،

وكان يصرّ على أن يكون بمفردة وبرفقة السائق فقط؛ خوفاً على الذين مَن حوله.

الحاج أبو فوّاز المالكي[١]:

منذُ أن كنتُ مكلَّفاً بمرافقة الحاج قاسم سليماني، واستقباله وتوديعه من مطار بغداد الدولي، كنّا نشعر بأنَّ هناك تهديدات واضحة على حياة الحاج قاسم، وحتّى الحاج المهندس؛ لذلك كنّا دائماً نعمل بخطّة أمنيّة متكاملة؛ خوفاً من أيّ خرق أمني، علماً أنَّ أغلب التقارير

(١) الحاج رعد خلف المالكي، مدير مكتب رئيس أركان هيئة الحشد الشعبي الحاج أبو فدك المحمداوي.

الاستخباراتية، كانت تؤكّد لنا بأنَّ هناك طائرات مسيّرة أمريكية تحلّق على الأماكن التي يتواجد فيها الحاجّان سليماني والمهندس، مع ذلك كنّا نحاول قدر الإمكان إخفاء تحرّكات الحاج قاسم سليماني، كنا في بعض الأحيان نستقبل الحاج سليماني من المنافذ الإيرانية شمال العراق، تحديداً محافظة السليمانية، وفي مرّات عديدة من منفذ زرباطية في محافظة واسط وسط العراق.

أمنياً لم يستخدم الحاج سليماني هاتفه داخل العراق، كذلك مرافقوه لا يحقّ لهم استخدام هواتفهم، وعندما يستقبل الحاجّ المهندسُ الحاجَّ سليماني في مطار بغداد كان يترك المهندس هاتفه في المكتب ؛خوفاً من مراقبته عبر الهاتف، وكان يعلم علم اليقين أنَّ هاتفه مراقب، فأغلب اتصالاته الأمنية يجريها عبر الهواتف المشفّرة المصنّعة خصيصاً للعمل الجهادي، والتي لا يتمّكن الأمريكان من خرقها مهما فعلوا.

مرافقو الحاج المهندس:

السيّد أبو بلال الجابري[1]:

كان عمر ولدي محمّد رضا عامين حين كنت أصطحبه معي إلي معسكرنا الجهادي الذي هو بقيادة الحاج المهندس، فما إن أصل إلى غرفة الحاج المهندس، يأخذه منّي ويبقى يلعب معه، كان محمّد رضا طفلاً سليط اللسان بالردّ والحديث وهو بعمر العامين فقط؛ لذلك كان

(١) السيد كاظم الجابري والد الشهيد السيد محمد رضا الجابري، يشغل السيد الجابري منصب المدير العام لمديرية التدريب في هيئة الحشد الشعبي.

الحاج المهندس يحب أن يتحدَّث معه كثيراً، ويبقى يبتسم وهو يستمع إلى كلماته المتقطّعة.

صورة تجمع الشهيد السيد محمد رضا مع والده المجاهد السيد كاظم الجابري

عام ١٩٩٢م كان سنّ محمّد رضا بضع سنوات وأدخلته في دورةٍ عسكريةٍ خاصةٍ للأطفال؛ من أجل أن يتعلّم على استخدام السلاح والرماية، فصارت هناك مسابقات على مَن يجيد إصابة الأهداف بدقّة حينها أخذ محمّد الأوّل بالرماية على الذين بعمره، وأصاب الأهداف الثابتة بدقّة عالية.

كنت فخوراً فيه كثيراً، كما كنت على يقين بأنّ محمّد رضا سيكون من المجاهدين حتماً.

للطفل البكر مكانة خاصة جدّاً بين الأبناء، حتّى وإن كبر، وأصبح لدى الأب أبناء غيره سوف تبقى مكانته تختلف عن سائر الأولاد.

حينما بلغ محمّد رضا السنة الثامنة من عمرة حفظ الجزء الثلاثين من القرآن الكريم حفظاً وتلاوةً، حينها سجدت لله سجدة شكر على تلك النعمة، فأنا من محبّي قراءة القرآن كثيراً.

عندما جاءت فتوى الجهاد الكفائي عام ٢٠١٤م التحق ولدي محمّد رضا مع سائر الشباب ملبّياً نداء المرجعية، وما إن شاهده الحاج المهندس ملبّياً نداء الفتوى طلب أن يكون معه، من هنا عمل ولدي محمد رضا سكرتيراً خاصاً للحاج المهندس، وقد عاش ولدي محمّد رضا أغلب طفولته قريباً من الحاج المهندس.

طيلة السنوات التّي قضاها محمّد رضا مرافقاً للحاج المهندس، كان يناديه الحاج المهندس: بابا محمّد، وليدي محمّد، باباتي محمّد، حتّى أغلب الإخوة كانوا يظنّون أنّ محمّد من أقرباء الحاج المهندس، بل ومن الدرجة الأولى، وبعضهم كان يقول: محمّد رضا صهر (نسيب) الحاج المهندس، وأنا لم أرَ محمّد رضا إلاّ ولداً مطيعاً لوالده وقائده طيلة تلك السنوات.

حين تزوّج محمّد عام ٢٠١٥م أقيم حفل الزواج في قاعة المناسبات، وبينما نحن مشغولين باستقبال الأحبّة، تفاجئنا بوصول الحاج المهندس إلى قاعة الأعراس.

صورة تجمع الحاج المهندس مع السيد محمد رضا الجابري يوم زفافه

جلس بين الناس مباركاً لولدي محمّد رضا، حتّى أتذكر أنَّ محمّد رضا قال له ـ ممازحاً ـ حجّي الناس عافتني والتفوّا حولك، بقى الحاج المهندس مبتسماً وهو يستقبل رفاق محمّد واحداً تلو الآخر. وما إن انتهت مراسم الزواج، خرجنا لإكمال الزفاف بالعجلات، وهنا طلب الحاج المهندس أن يقود هو عجلة العريس محمّد رضا، وفعلاً قاد الحاج المهندس عجلة زواج محمّد رضا بين الناس والمحبّين، الأمر الذي جعلني أشعر بالفخر أنّي والد محمّد رضا الذي كسب حبّ الحاج المهندس إلى درجة يزفّه بنفسه شخصياً.

عام ٢٠١٨م بعد انتهاء الحرب مع داعش الكفر، وإعلان النصر، أستحدث الحاج المهندس مديريّة العلاقات العامّة في هيئة الحشد الشعبي، وكلّف محمّد رضا إدارتها رسمياً، فأصبح مديراً لمديريّة العلاقات.

وحين كلّف محمّد رضا بهذا المنصب شعر بالمضايقة الشديدة من قبل بعض المتنفّذين في أجهزة الدولة، سألته حينها لماذا؟ قال: بابا! يريدون أن أكون تحت يدهم حتّى يمرّروا ما يريدون من خلالي.

حينها قلت له: ما زلت مع الحاج المهندس، لا تخف من شيء، وأخبره بكلّ الذي يحصل معك، وإيّاك والمال الحرام.

بين مرّةٍ وأخرى كان يقول لي: بابا! في يومٍ ما سأُقتل بسبب منصبي؛ لأنّي أشعر بمضايقة كبيرة، قلت له: لا تخف ما زال الحاج المهندس معك، كذلك وأنت معه لا يجرؤ أحدٌ على مساس شعره منك، وإن فعلوها كن على يقين بأنَّ الحاج المهندس لا يُبقي لهم باقية، مهما كان اسم ودور تلك الجهة الأمنية، فلا يمكنهم مواجهة الحاج المهندس.

كنت أشعر بالخوف الشديد على ولدي محمّد رضا، لكن كنت أقول ـ في نفسي ـ: لا خوف عليه مع وجود الحاج المهندس.

والدة المرافق علي حيدر:

أُسألُ كثيراً عن ولدي علي، وما زلتُ أُجيبهم بالإجابة نفسها، بأنَّ ولدي علي يختلف تماماً عن سائر الشباب؛ فهو مهذّب جدّاً، كما وأنَّه حنون كذلك، ويمتلك من العاطفة ما لا يُصدَّق، حيث أشعر بأنّه هو الذي أنجبنا لا نحن!!

في ذات يوم تدهورت حالة والد علي الصحيّة؛ بسبب مرض السرطان الذي يعاني منه في العمود الفقري، وبسبب تداعيات المرض تطلّب نقله إلى إحدى

المستشفيات في بغداد، وكان برفقتنا ولدنا علي، الذي جمع بين مهام عملة في الحشد الشعبي ومرافقته لوالده، حيث كان يبقى سبعة أيام في الدوام، وحين يأتي مجازاً يقضي الإجازة بمرافقة والده داخل المستشفى، كنت أراه مرهقاً وأقول له: ماما علي حبيبي اذهب وارتاح وأنا سأبقى هنا لا تخف، لم يرد على طلبي، وكان يحاول أن يتهرّب منّي كي لا أطلب منه هذا الطلب.

وذات يوم سمعتُ أحد الأطباء يتحدّث لطبيب آخر ويقول له: إنّ هذا الولد ـ وهو يشير إلى ولدي علي ـ مهذَّب جدّاً ومحترم، ولم نسمع له صوتاً، وبار بوالديه كثيراً. فرحتُ كثيراً وأنا أستمع لحديثهم عن ولدي البكر.

وفي أحد الأيام التي لم يكن علي موجوداً فيها معنا سألني عنه الطبيب الذي كان يتابع حالة والده، فقلت له: علي بالدوام في الحشد الشعبي.

فقال لي: أنا طبيب هنا منذُ سنوات، وبحكم عملي في هذا المستشفى أرى عشرات الحالات يومياً، لكن نادراً ما أرى هكذا أبناء، يهتمّون بأهلهم كما هو علي، حقّاً هو مهذَّبٌ جدّاً، نسأل الله أن يحفظه لكم، فعلي فعلاً يستحق اسم الولد البار بوالديه.

ولم يقتصر هذا الموقف مع الأطباء فقط، فكثيراً ما يُمدح ولدي علي في كلّ المناسبات التّي يحضرها بين أقربائنا، فمع الهدوء الذي يتمتّع به علي كان متواضعاً جدّاً، لم أسمعه يوماً ما يقول: أنا في الحشد الشعبي، أو مع الحاج المهندس، لم يذكر أنّه بحكم عمله في مديرية العلاقات يكون في بعض

الواجبات قريب من الحاج المهندس، أو الحاج قاسم سليماني، كان كتوماً مع أقرب الناس إليه.

ذات يوم جاء علي بعجلة جميلة جدّاً، لا أعرف اسمها لكن سألته عنها فقال لي: هذه العجلة التّي ننقل فيها الحاج المهندس وأحياناً برفقة الحاج قاسم سليماني.

فقلت له: ماما حبيبي! أخشى أن تتعرّض هذه العجلة إلى حادث، ويغضب عليك الحاج المهندس؟! ابتسم في وجهي بذلك الوجه الملائكي وهو يقول: ماما! الحاج المهندس يختلف تماماً عن سائر الناس الذين تعرفينهم أو الذين سمعت عنهم، هذا القائد شجاع جدّاً ومتواضع جدّاً، وكريم أيضاً، ماما لم أره حتّى الآن وهو منفعل أو لم يبتسم.

فقلت له: الله يحفظكم ماما.

في آخر إجازة جاء فيها علي إلينا، رأيته في عالم الرؤيا شهيد، وأدخلوه علينا إلى الدار وهو ملفوف بالعلم العراقي، ووضعوه هنا أمامي، وما إن وضعوه حتى انتبهت مرعوبة وقلبي يخفق بسرعة، خفتُ كثيراً، وما إن رفعتُ رأسي حتى وجدت علي أمامي في الحقيقة، فسألته هل أنت بخير؟

قال لي: نعم ماما بخير، أنتِ ما بك أراكِ مرعوبة هكذا؟ وجهكِ أصفر اللون؟

فقلت له: رأيتُك شهيداً في المنام حتّى انتبهت من نومي مرعوبة، بقى يبتسم وقال لي: أكيد ماما لطمت وبكيت؟!

أمُّ علي: نعم، وما زلتُ أرتجف خوفاً.

علي: لا تخافي، فها أنا أمامك، فمن أي شيء تخافين بعد؟

والدة محمّد الشيباني:

حين أشتدّ الخطر الإرهابي على مرقد السيّدة زينب عليها السلام عام ٢٠١٢م هبَّ الغيارى من الشباب العراقي للتطوّع؛ دفاعاً عن مرقدها المقدَّس.

في عام ٢٠١٣م طلب منّي ولدي محمّد الشيباني طلباً، حيث قال: ماما عندي طلب! لكن لم أخبركِ به قبل أن تقسمي لي قسماً بأن لا تردّي طلبي؟

قلتُ له: اطلب إن شاء الله لا أردُّ لكَ طلبك، قال: لا، أقسمي بدم والدي الشهيد أنَّكِ لا تردّي طلبي.

أقسمتُ له، وقلبي يرتجف خوفاً عليه، وقلتُ له: ما بكَ يا حبيبي؟! لماذا تقسم عليَّ بدم والدك؟! قال: ماما حبيبتي! عمّي الحاج أبو مصطفى الشيباني لم يوافق على ذهابي معهم للدفاع عن السيّدة زينب عليها السلام، وقال لي: لا آخذك معي للجهاد إلاّ بموافقة والدتك، وشرط عليَّ أن تكون الموافقة برسالة نصيّة بخطّ يدك مع التوقيع!

انتهى محمّد من حديثه معي، وأنا ما زلتُ أسرح في خيالي وأتساءل هل حقّاً ما يقوله محمّد؟!

كيف يطاوعني قلبي على فراق ولدي، الذي لم يبلغ ١٨ ربيعاً من عمره؟!

قلت له: محمّد حبيبي! سأفكّر في طلبك وإن شاء الله أردّ عليك، ابتسم في وجهي وكرّر يقسم عليّ بدم والده العزيز، على أن أوافق الآن.

قلت له: ماما أنا خطّ يدي ليس جميلاً (طبعاً أريد أن أعتذر له بكلّ صوره) قال لي: أنا خطّي جميل جدّاً وسأكتب لكِ الرسالة الآن وأنتِ أمضِ عليها فقط.

قلت له: مجدّداً ماما محمّد! أعطني المجال وسأردّ عليك إن شاء الله.

قال لي: ماما! الرسالة عندك، وأنا أريدها من الله ومنك.

قبل أن ينال زوجي الحاج القائد أبو جعفر الشيباني وسام الشهادة عام ٢٠١٠م أوصاني كثيراً بأن أهتمّ بتربية أولادي، كما أوصاني تلك الوصية نصّاً حيث قال لي: أم محمّد! أنا أوصيت الحاجّين قاسم سليماني وأبو مهدي المهندس بكم، كما أوصيتُهم بمراعاة ولدي محمّد، وأن يكون قريباً عليهم حيث يكونون، كذلك أوصيك بأن تذهبي للحاج المهندس أو الحاج سليماني في حال احتياجكِ لأي طلب مهما بلغ.

مع إصرار ولدي محمّد، تذكّرت وصيّة زوجي أبي جعفر، اتصلت بمكتب الحاج قاسم سليماني الكائن في طهران، وطلبتُ منهم تبليغ الحاج سليماني بأنّي أريد اللقاء به، بعد ساعات حدّد موعد اللقاء. عندما وصلتُ إلى المكتب، وجدتُ الحاج قاسم ينتظرني هو شخصياً، في وقت كان الحاج كثير الانشغال فيه؛ بسبب الحرب وأحداث المنطقة.

بعد التحية والسلام.

الحاج سليماني: أأمري يا أختي ماذا تريدين هل حدث شيءٍ معكم؟

أم محمّد: لا حجّي الحمد لله لم يحصل شيء، لكن محمّد مصرٌّ على الذهاب للدفاع عن السيد زينب عليها السلام، وأنا أخشى أن يحدث له مكروه لا سمح الله.

الحاج سليماني: لا تخافي، سيكون قريباً علينا وتحت رعايتنا إن شاء الله، لكن يا أختي لماذا طلبت منّي أنا شخصياً الحفاظ على محمّد وأن يكون قريباً منّا؟ فربما لم أكن إنساناً صالحاً كما تظنّين؟

أم محمّد: هذه وصيّة والده، هو الذي أوصاني بأن آتي إليكم، كذلك أنا أعرفكم جيداً من خلال حديث زوجي الشهيد عنكم، ذات يوم قال لي: زوجي إنّ الحاج قاسم سليماني، من المجاهدين الذين يخافون الله كثيراً، شجاع لا يخشى شيئاً.

الحاج سليماني: أتمنى أن أكون كذلك.

أم محمد: حجي، أنا قرأت كثيراً عن صفات الإمام علي عليه السلام، فكلّ الذي قرأتُه واطّلعتُ عليه وجدتُه بجنابكم الكريم، أسأل الله أن يحفظكم للإسلام والمسلمين.

الحاج سليماني: إن شاء الله أكون هكذا، ادعو الله أن يرزقني الشهادة في سبيله.

أم محمد: أنا أخشى من أن أدعو لك بهذا الدعاء؛ لأنَّ حياتك ووجودك ليس لك أنت وحدك، أنت درعنا كما أنت درع المشروع الإسلامي المحمّدي الأصيل، أنا أقول: إنّ الله أرحم الراحمين وهو أعرف بالذي أصلح لك ولنا.

الحاج سليماني: جزاكم الله خيراً، مع ذلك ادعوا لي بالشهادة، هل تخافين على محمّد أن يستشهد؟

أم محمّد: نعم، أنا خائفة عليه كثيراً، لكن أقول: الحمد لله إنَّ محمّداً اختار هذا الطريق وهو طريق الجهاد في سبيل الله، كما من نعم الله علينا هو أنّ محمّداً لم يسلك أيّ طريق منحرف لا سمح الله.

انتهى حديثي مع الحاج قاسم سليماني، وعدت إلى دارنا، وما إن وصلت إلى الدار ناديت محمّداً، وأخذتُ منه تلك الرسالة التّي كتبها بخطّ يده، كتبتُ اسمي في نهاية الورقة وأمضيتُ عليها، وأثناء ما أنا أمضي على الورقة شعرتُ بشيءٍ ما قد حصل، لكن قلت ربما أتوهم، سألتُ محمّداً هل رأيتَ شيئاً ما قد حدث حولنا؟ أجاب: نعم ماما، طيّب لا تتحدّث لأيّ شخص مهما كان عن الذي حدث معنا الآن.

أخذ محمّد الرسالة وخرج مبتسماً سعيداً، كأنّه اغتنم شيئاً ثميناً.

بعد أيام من لقائي بالحاج قاسم سليماني، اتصل عليَّ الحاج المهندس، وما إن انتهيت من السلام والتحية قال لي نصّاً: أم محمّد أنتِ أوصيتِ الحاج قاسم بمحمّد، أنا بماذا توصيني؟

أم محمّد: والله أنا خجلة منكم كثيراً، محمّد ابنكم وتحت رعاية الله ورعايتكم.
المهندس: خلاص لا تخافي من أي شيء، سأضع محمّداً في عينيّ.
انتهى حديثي مع الحاج الأب والقائد أبي مهدي المهندس، وذهب محمّد مع المدافعين عن حرم السيدة زينب عليها السلام.
بتاريخ ٢٠١٩/١٢/٢١م أجرى ولدي محمّد عمليه ليزرية لعينيه في احدى مستشفيات طهران، قال له الطبيب حينها يمكنك أن تعود إلى العراق الآن، لكن بشرط أن تراجعني بعد ١٥ يوماً من الآن حتّى أطمئن على عينيك.

في هذه الأيام أشعر أنَّ محمّداً كان مختلفاً تماماً عن سائر الأيام، صرت أرى وجهه منيراً في البيت، قسماً بالله، تساءلت مع نفسي لماذا وجه محمّد يشعُّ نوراً؟

جلست أنا ومحمّد نتحدّث في موضوع يخصّ الحاجين سليماني والمهندس، وما إن انتهى حديثنا عنهم، قال لي ولدي محمّد: ماما! الحاج سليماني والحاج المهندس سينالان وسام الشهادة قريباً! قلت له: بسم الله، لماذا تقول هكذا يا عزيزي؟

قال: والله يا ماما أنا أشعر بأنّهم سيستشهدون معاً، ١٠٠% سيستشهدون.

تركت محمّداً مع شقيقته أم علي وذهبتُ أنا لإعداد الطعام.

أم علي شقيقة محمّد: بقينا أنا ومحمّد نتحدّث معاً، فسألني عن الوصيّة هل ما زالت معي؟

قلت له: لماذا تسألني عنها؟

قال: لا شيء، فقط أريد أن أتأكّد هل فعلاً ما زلتِ تحتفظين بالوصيّة؟

نعم أخي ما زالت معي وأحتفظ بها.

أم محمّد: ودّعنا محمّد وعاد إلى العراق وقال لي: ماما! سنلتقي بعد ١٥ يوماً كما أخبرني الطبيب.

صورة للشهيد محمد الشيباني مع عمه الحاج ابو ياسر

الحاجّ أبو ياسر الشيباني[١]:

منذُ أن استشهد أخي الأكبر الحاج أبو جعفر الشيباني والد محمّد، اقترب منّي محمّد كثيراً، وقد رأيتُ فيه الرجل الذي يُعتمد عليه مع صغر سنّه؛ فمحمّد من مواليد ١٩٩٥/١٢/٤م، لكن حين تتحدّث معه تشعر وكأنّه أكبر من هذا العمر،

(١) الحاج محمد ثجيل الشيباني عم الشهيد محمد الشيباني، يشغل منصب المدير العام لمديرية المنافذ والمراسيم في هيئة الحشد الشعبي.

حيث اعتمد محمّد على نفسه منذُ استشهاد والده، وهو مَن دار شؤون عائلته، حتّى أصبح دوره كأنّه هو والدهم لا الأخ الأصغر لهم.

بتاريخ ٢٠١٩/١٢/٢٩م زارني محمّد إلى داري وشاهدني ارتدي خاتماً عقيقاً أصفر اللون نُقشت عليه آية من القرآن الكريم، أعجبه الخاتم كثيراً فطلبه منّي. أنا معتاد منذُ زمن طويل بأن لا أردُّ محمّداً بطلب مهما كان، أنا أشعر كأنّي والده لا عمّه، كان قريباً جدّاً منّي، كما كان الأقرب إلى روحي، كثيراً ما كنتُ أسرّه بأشيائي الخاصّة وأتحدّث له في كلّ شيء.

أمسكتُ الخاتم بيدي ووضعتُه بيده، شكرني كثيراً، وأنا كنتُ سعيداً عندما رأيتُ الفرحة تملأ وجهه الجميل.

والدة المرافق علي حيدر:

انتهت الإجازة وأعددتُ له حقيبته للالتحاق فأوصلتُه حتّى باب الدار، وهناك ودّعته وأنا احتضنه وقلت له: الله معك أمّي ومحمّد وعلي، وأخذتُه في أحضاني مرّة أخرى.

بتاريخ ٢٠٢٠/١/١م المصادف يوم الأربعاء اتصلت بولدي علي كي أطمأنَّ عليه، فكان صوته متعباً! فسألته عن سبب ذلك؟ قال لي: ماما! أنا تعبان جدّاً بسبب الأنفلونزا، والآن أرقد في فراشي مريضاً وحزيناً أيضاً.

سألته حينها لماذا أنت حزين؟ قاله لي: ماما! جميع الشباب خرجوا مع الحاج المهندس، في المظاهرات أمام سفارة الشيطان الأكبر أمريكا ألا ولدك بقى في فراشة.

فقلت له: حبيبي علي لا تحزن فهذا المرض كلّه أجر وعافية، متى ينتهي دوامك؟

ماما! إن شاء الله يوم السبت المصادف ١/٤ سأكون معكم.

الليلة الأخيرة:

مهنّد العقابي:

بتاريخ ٢٠٢٠/١/١م اتصل بي الحاج المهندس، وطلب منّي المجيء إلى داره في المنطقة الخضراء، غيّرتُ ثيابي على وجه السرعة وذهبت له.

وصلت دار الحاج المهندس، فوجدته جالساً ينتظرني في غرفته الخاصّة، تحدّث معي عن العمل وما يجري في الساحة العراقية والمنطقة.

طيلة حديث الحاج المهندس معي، وأنا أشعر بشيءٍ ما، لكن لا أعلم ما هو؛ لأنّه ليس من المعتاد أن يطلبني الحاج المهندس حتّى يتحدّث لي عن أخبار

المنطقة والعراق، فأنا موجود معه كلّ يوم في قاعة الاجتماعات الّتي لا تخلو من الحديث الذي أستمع له الآن.

أنا مهنّد العقابي لا يوجد لدي اسمٌ في الحشد الشعبي كسائر المجاهدين، كما لم أكن موظّفاً في أي مكان آخر؛ لذلك كنت أتقاضى مرتّبي بشكل شخصي من الحاج المهندس، فعندما يسألني الأصدقاء ما هي وظيفتي؟ كنت أجيبهم: أنا موظّف عند الحاج المهندس.

سألني الحاج المهندس عن وضعي الخاص، فأجبته وصرت أتحدّث له، وبينما أتحدّث معه، أخرجَ مبلغاً من المال وقال لي نصّاً: عزيزي مهنّد! هذا مرتّبك الشهري لمدّة عام كامل، كما هذا مبلغ آخر نثريه لعملك.

ابتسمت في وجهه وأنا مستغرب، لماذا يعطيني الحاج المهندس مرتَّبي لعام بأكمله؟

أنا معتاد على أن أتقاضى مرتَّبي في مطلع كلّ شهر، وبعض الأشهر يتأخّر لمنتصف الشهر الجديد.

أخذتُ المبلغ من يده وأنا أسأله، حجّي لماذا أعطيتني كلّ مرتبي دفعةً واحدةً؟ كان يسمعني لكن يتهرّب من الإجابة بحديث آخر.

علي الخفّاف:

في صباح يوم الأربعاء المصادف ٢٠٢٠/١/١م وصلت إلى دار الحاج المهندس الكائن في المنطقة الخضراء، من أجل متابعة وضعه الصحي وللأشرف على أخذ العلاج بأوقاته، كذلك عدت في مساء ذات اليوم لأطمئنَّ على وضعه

الصحي، لكنّي جدتُه في اجتماع مع أحد الأخوة المجاهدين يتحدّثون عن دور أنصار الحشد الشعبي في المحافظات، وكان يوصي بالاستمرار، وأدمت التواصل مع عوائل الشهداء والجرحى، وحتى عوائل المجاهدين، كان يهتم كثيراً بالتواصل مع هذه الشريحة، وقالها عشرات المرّات: تلك الشرائح من المجتمع هما عمقنا الحقيقي.

انتهى الاجتماع عند الساعة ١٢:٣٠ صباحاً من يوم ٢٠٢٠/١/٢م المصادف يوم الخميس، ودّع الحاج المهندسُ الضيفَ وتوجّهنا معاً إلي غرفة منامه، بقى يسألني عن عامة أوضاع الحشد الشعبي، وعن بعض المفاصل فيه، واستمر حديثنا حتّى الساعة ٢:٠٠ صباحاً، وما إن انتهينا من الحديث عن الحشد الشعبي، طلبت منه أن يغادر العراق كى يصحّ بدنه؛ لأنّه لا يمكن للعلاج أن يأخذ مفعوله وهو بهذه الحالة، لا نوم ولا راحه، أنا جادٌ في كلامي معه وهو يبتسم في وجهي فقط.

قلت له: حجّينا العزيز! حجّي قاسم سليماني لم يأت بعد؛ لأنّه كان من المقرر أن يكون في بغداد منذُ يوم الأثنين، كما لا نعرف سبب تأخيره، ولا أعتقد أنّه سيأتي في هذه الأيام، اذهب أنت وارتح، يا حاج! إذا انهارت صحتك فلا أحد ينفعك، أهلك أحقّ فيك وبمتابعة وضعك الصحي، لم أنه حديثي بعد حتّى رأيته نام على فراشه وهو لم يشعر بشيء، كم كنت أفرح عندما أراه نائماً، أغلقت باب الغرفة بهدوء وخرجت.

أ- ح:

يوم الخميس المصادف ٢٠٢٠/١/٢م لم ينم الحاج المهندس كثيراً، ثمّ استيقظ وهو متعبٌ جدّاً.

يومٍ بعد يوم أرى الحاج المهندس، متعباً كثيراً، وهو ما زال مصرّاً على البقاء في العراق.

في الساعة ١٠:٠٠ صباحاً عقد اجتماعٌ مع قادة عمليات الحشد الشعبي، واستمر الاجتماع حتّى الساعة ١٢:٠٠ مساءًا، صلّى الحاج المهندس صلاة الظهرين، ثمّ تناول وجبة الغداء، كان من جدول أعماله في ذلك اليوم عقد اجتماع أمني خاص في مقر هيئة الحشد الشعبي، وبسبب شعوره بالتعب، طلب نقل الاجتماع إلى دارة، عقد الاجتماع في دار الحاج المهندس في الساعة ٤:٠٠ مساءًا واستمر حتّى الساعة ٧:٣٠ مساءً.

كنت على يقين أنّ الحاج المهندس، لا يخرج هذا اليوم بسبب وضعه الصحي؛ لذلك تركته في داره في الخضراء، وذهبت إلى مقرّ هيئة الحشد الشعبي؛ لإكمال بعض المتعلّقات التّي تخص عملنا.

مهنّد العقابي:

أنا أعمل مع الحاج المهندس شخصياً منذُ عام ٢٠٠٨م ومنذُ أن عملنا معاً عاملني وكأنّي ولده، لذلك لم أعتد من الحاج المهندس أن يتقدَّم لي بالشكر

عن أيّ عمل كان، وإذا كنّا في جلسة عامّة يشكرني كثيراً ويبقى يمدحني أمام الجالسين حتّى أشعر بالخجل.

بتاريخ ٢٠٢٠/١/٢م المصادف يوم الخميس كلّفني الحاج المهندس أن أقيم مجلس عزاء على أرواح الشهداء الذين استشهدوا نتيجة العدوان الأمريكي على قطعات الحشد الشعبي الماسكة للشريط الحدودي في قضاء القائم.

بين دقيقه وأخرى أنظر إلى باب المسجد بأمل أن يأتي الحاج المهندس للعزاء لكن لم يأت بعد، اتصلت به وقلت له: حجّي! أوشك مجلس العزاء على الانتهاء وأنت لم تأت بعد؟ قال لي: أنّه ما زال متعباً بسبب وضعه الصحي، كما أنّ ضغط الدم لم يستقر بعد، قلت له: حجّي على راحتك المهم أن تكون أنت مرتاح، شكرني كثيراً وقال لي نصّاً: عزيزي مهند أتعبتك معي كثيراً، شكراً لك على كلّ عمل أدّيته، وشكراً على الجهد الذي بذلته، جزاك الله خيراً.

عبر الهاتف وشعرت بالخجل كثيراً، ماذا أقول للحاج المهندس وهو يشكرني؟ أشعر وكأنّ الكلمات هربت أمامي، فصرت أردّد وأنا مرتبك، رحم الله والديك حجّي، أنا بخدمتك حجّي، بعدها قلت له: حجّي أنت مريض وما زلت متعباً لا تطيل معي في المكالمة حتّى لا تتعب، قال لي: أي بوية راح أروح أرتاح.

ودّعني وأغلق الهاتف، وأنا أتساءل مع نفسي ماذا يجري؟ لماذا الحاج المهندس يشكرني كثيراً؟

عدت إلى داري وأنا متعب جدّاً؛ لذلك قررت أن أنام قبل موعد نومي المعتاد.

أ ـ ح:

في الساعة ١١:٠٠ مساءً وردني اتصال عبر الهاتف الخاص (المصنّع خصّيصاً للعمل الجهادي) من أحد الإخوة الذي أخبرني بأنّ الضابط فلان يريد التحدّث معك عبر جوالك الشخصي، لكنَّك لم ترد عليه[١].

تواصلت مع الضابط الذي يريد الاتصال بي، وكانت لي معرفة شخصيّة جيدة به، كما وأعرف أيضاً مهام عمله؛ لذلك حين نتبادل المعلومات معاً، أكون على يقين بأنّه صادق معي، قال لي الضابط الصديق: إنّ قوات الاحتلال الأمريكي وفي الساعة ١٢:٠٠ بعد منتصف ليلة لهذا اليوم ستوجّه ضربة جوية على أهداف تخصّ الحشد الشعبي في منطقة الخضراء، فخذوا الحيطة والحذر.

أنهيتُ اتصالي مع الضابط، وأجريت مكالمة أخرى مع أحد القادة الأمنيين الذين لنا فيهم ثقة كبيرة جدّاً، فأكّد لي صحّة المعلومة التّي نقلها لي الضابط.

وفي الساعة ١١:١٥ مساء يوم الخميس المصادف ٢٠٢٠/١/٢م أخبرني الضابط الكبير نفسه، بأنَّ رتلاً عسكريّاً كبيراً مشتركاً بين قوات مكافحة الإرهاب العراقية، وقوات الاحتلال الأمريكي، تحرَّك من مطار بغداد الدولي إلى المنطقة الخضراء، تحديداً إلى السفارة الأمريكيّة.

---

(١) كنّا لا نحمل هواتفنا الشخصيّة معنا؛ لعلمنا بأنَّ هواتفنا مراقبة من قبل قوات الاحتلال الأمريكي، فصرنا لا نصطحب هواتفنا لأي مكان خاص مهما كان السبب؛ لذلك كنا نعتمد كلّياً على استخدام هواتف العمل الخاصّة.

اتصلت فوراً بأحد الإخوة المرافقين، وطلبت منه أن يبلغ هذا الرسالة للحاج المهندس حالاً، كنت أعتقد بأنّ الحاج المهندس كان نائماً بسبب وضعه الصحي؛ لذلك لم أتصل على هاتفه الشخصي لتبليغه ما ورد أعلاه.

اتصل بي المرافق مجدداً وأخبرني بأنَّ الحاج المهندس طلبني فوراً للحضور إلى داره. قبل خروجي من مقر هيئة الحشد الشعبي قاصداً دار الحاج المهندس، أبلغت الإخوة بأن يأخذوا الحيطة والحذر، كما أبلغت أغلب مقراتنا الأمنية بضرورة إخلائها فوراً.

وعند وصولي إلى دار الحاج المهندس، أبلغني الأخ المرافق، بأنّ الحاج المهندس ينتظرني في غرفته الشخصية، فوراً توجّهت إلى غرفته فوجتُ البابَ مغلقاً، وأعتقد أنّه كان يغيّر ثيابه، انتظرته حتّى أكمل وفتح الباب، وفي هذا الوقت تحديداً وصل الدكتور علي الخفّاف لمعاينة الوضع الصحي للحاج المهندس، ولمّا رآه الحاج المهندس قال له: ها بويه علي تفضل.

علي: حجّي أريد أعطيك العلاج وأُلاحظ ضغط الدم.

المهندس: ابق هنا أنا سأخرج في زيارة داخل الخضراء، برفقة أ. ح، بعد ساعة سأكون هنا.

العجيب في الأمر، أنَّ الحاج المهندس لم يسألني عن المعلومات الأمنية حتّى الآن.

وأنا على سلّم الدار، همس في أذني الحاج المهندس، قائلاً: أحضر لي إحدى العجلات الخاصّة، مع سائق فقط وأنت، ولا تخبر أيّ أحد مهما كان عن المكان الذي نقصده.

فوراً طلبت من الأخوة المرافقين تحضير العجلة الخاصّة، وهي نوع تيوتا برادو بيضاء اللون، ما إن وصلت العجلة باب الدار خرج الحاج المهندس الذي كان يتكئ على عكازه خشبيه.

علي الخفّاف:

في الساعة ١١:٣٠ مساء يوم ٢/ ١/ ٢٠٢٠م رافقت الحاج المهندس إلى غرفته الخاصّة من أجل معاينة وضعه الصحي، ولأجل إعطائه العلاج، بقيت جالساً في الصالة ودخل هو يغتسل(يتحمّم)، وكان من المعتاد عند الحاج المهندس أنَّه يغتسل حين يستيقظ صباحاً، ولا يغتسل قبل النوم، فكنت أظنّ أنّ لديه موعداً آخر، خرج من الغرفة وهو يرتدي زيه الرسمي وكان مستعداً للخروج، كان يرتدي (قمصلة) بنّية اللون ومثلها قميص وبنطلون، ويحمل بيده تلك العصا (العوجية) التّي يتكئ عليها، وقبل أن يخرج سألني: هل تريد منّي شيءٍ ما أو جئت من أجل العلاج؟

الخفّاف: لا حجي ليس لدي شيء خاص، ومجيئي من أجل أن تتناول العلاج في الوقت المحدد لك.

المهندس: الآن أريد أن أخرج وحين أعود أعطني العلاج.

الخفّاف: بإمكانك تناول العلاج الآن.

المهندس: لم يبق لديّ وقت! انتظرني سأذهب وأعود لك من أجل أخذ العلاج.

قبل أن أرافق الحاج المهندس إلى غرفته الشخصية أخبرني أ ـ ح. بأنّ هناك تحركات أمريكية مشبوهة؛ لذلك حين قال لي الحاج المهندس سأذهب وأعود كنت قلقاً عليه، فسألته عن مكان توجّهه فلم يجبني. فقلت له: حجي أ ـ ح يقول لك: هناك تحركات أمريكية مشبوهة، كذلك لم يجبني ولم يعر أيّ أهمية لكلامي! كنت أحاول أن أمنعه من الخروج بأيّ عذر مهما كان، فقلت له: حجّينا العزيز الطقس بارد جداً في الخارج وأنت الآن خرجت من الحمّام، وما زال شعرك لم يجف بعد، وأنا أخشى أن يستاء وضعك الصحي أكثر. كذلك لم يردّ عليّ، صرت أشعر بالخوف أكثر!

أخذه الأخ أ ـ ح جانباً وهمس بأذنيه، أخذ الحاج المهندس يرتدي حذاءه وكانت صغيرة عليه بعض الشيء، فسألني لماذا هذه الحذاء صغيرة؟ فقلت له: ربما تبدّلت بحذاء مهنّد العقابي فهو يرتدي حذاء مشابهاً لهذه الحذاء، قلت له: مجدّداً حجي أريد مرافقتك؟ كذلك رفض وقال لي: عزيزي ابق هنا فأنا لا أتأخّر كثيراً ساعة فقط، وسأعود لك إن شاء الله.

كان الحاج المهندس هو من يطلب مرافقتنا له، الآن أصبح هو من يرفض ذلك، سألته أين أنت ذاهب؟ قال لي: هنا في المنطقة الخضراء ساعة واحدة وسأعود،

كنت أظنّ أنّه ذاهب لإكمال بعض المشاغل الخاصّة؛ استعداداً للسفر يوم الجمعة.

من المألوف لدينا إذا حدثت تغيرات سريعة في دار الحاج المهندس هذا يعني أنّ الحاج قاسم سليماني قادم لا محالة.

قبل يوم من وصول الحاج قاسم سليماني إلى العراق لا يستقبل أيّ ضيف في دار الحاج المهندس، كما يزداد طاقم الحماية خارج وداخل البيت، تهيئة عجلات مدنية مهمتها التنقل مع الحاج قاسم داخل العراق، كذلك إعداد جناح استقبال مرافقي الحاج قاسم أو ضيوفه، كلّ شيء في تلك الليلة لا يشير إلى قدوم الحاج قاسم سليماني للعراق.

صابرين الموسوي[1]:

من المعتاد لدى زوجي حسن أنَّه إذا لم يكن مشغولاً أو على موعد يبقى نائماً؛ لأنَّ أغلب مهام عمله ليلاً؛ لذلك هو قليل النوم.

في يوم ٢٠٢٠/١/٢م كان يوماً مختلفاً تماماً عن سائر الأيام الّتي أعرف فيها برنامج زوجي؛ حيث استيقظ مبكراً مع العلم أنَّه لا يوجد لديه أيّ واجب!

انشغلت في إعداد الطعام للغداء وهو ما زال جالساً في غرفة النوم.

(١) زوجة الشهيد حسن عبد الهادي الساعدي الملقلب (حسن مقاومة).

منذُ أن استيقظت صباحاً كنت مربكة وأشعر بتعب نفسي، خائفة من شيء لا أعرف ما هو!

حاولت مراراً أن أعود إلى طبيعتي حتّى لا ينشغل حسن معي ويبقى قلقاً، لكن لا فائدة، فكل مرّة أفشل وبلا أيّ شعور أجد نفسي وسط مخاوف وقلق لا أعرف لهما سبباً. ولم يحدث معي هكذا أمر طيلة حياتي.

صورة تجمع الحاج المهندس مع الشهيد حسن مقاومة

جهّزت الغداء وجلسنا معاً، وما أن جلس حسن حتى سألني عن سبب حزني؟ فقلت له: لا شيء مجرد إرهاق وتعب.

حاولت أن أبتسم في وجهة كلّما نظر إليّ لكنّه كان يعلم جيداً لم تكن ابتسامتي حقيقية.

فسألني هل نذهب معاً للزيارة؟

منذُ زمان اعتاد حسن أن يذهب إلى كربلاء المقدّسة كلّ ليلة جمعة، ومنذُ زواجنا صرنا نذهب معاً كما نذهب كلّ يوم جمعة إلى حرم الإمامين الكاظمين عليهما السلام، تاريخ ١/٢ كان يصادف يوم الخميس لذلك حين سألني عن الزيارة. قلت له: لك الخيار.

قال لي: هل نذهب إلى كربلاء؟

حينها كان الوقت يشير إلى الساعة ٤:٠٠ مساءً، فقلت له: عزيزي ربما تأخّر الوقت ما رأيك لو نذهب إلى زيارة الكاظمية المقدّسة؟ وافقني الرأي وهيّئنا أنفسنا للزيارة.

ما زالت المخاوف تسيطر على كلّ مشاعري بلا أيّ سبب.

استقلينا عجلتنا وتوجّهنا إلى مدينة الكاظمية وطول الطريق بين حي العامل الذي نسكنه إلى الكاظمية هو يمسك بيدي ويسألني: صابرين راضيه عني؟
نعم يا حبيبي راضيه عنك بقدر تلك المسافة التّي بين السماء والأرض.
فكرر عليّ ذات السؤال وما زلت أجيبه بذلك الجواب.

أصبح خوفي يكبر أكثر وصرت أتساءل مع نفسي: لماذا يسألني حسن عدّة مرات السؤال نفسه والذي أجبته عليه منذُ المرة الأولى؟ صرت أمسك يده بقوه وأنا أرتجف ودقات قلبي صارت تؤلم صدري.

بقى ماسكاً يدي حتّى وصلنا إلى حرم الإمامين الكاظمين عليهما السلام وقفنا داخل المرقد وكلٌ منّا اختار طريقه، فأنا ذاهبة إلى باب دخول النساء وهو ذاهب إلى باب الرجال، وما إن وصلت إلى باب النساء حتى صاح خلفي ــ بصوت ما زلت أشعر به حتّى الآن ـ: صابرين ادعو لي.

دخلت الحرم وما إن وصلت تحت قبّة الإمامين عليهما السلام لم أسيطر على تلك الدموع التّي أشعر بأنّها كانت أسيرة جفوني؛ خوفاً من أن يراهنّ حسن ويقلق.

لم أتذكر أنّي ذكرت أحداً داخل الحرم سوى حسن، حتّى نفسي لم أذكرها بالدعاء وكأنّي صرت أرى حسن بتلك الدموع فقط.

انتهت الزيارة وخرجنا معاً، وما إن رأى عيوني حتى سألني عن سبب بكائي؟ فقلت له: بسبب طلبك منّي أن أدعو لك، فأنا طول الطريق أمسك بيدك وأدعو الله أن يحفظك لي يا حبيبي.

فسألني مجدّداً: هل دعوت لي كما أوصيتك؟

نعم لم أدع لأحد سواك، فأنت فقط مَن كان معي داخل الحرم، ولم يأت أحد على بالي إطلاقاً.

أخذني من يدي وسرنا معاً حتّى أوقفني على باب أحد المطاعم فرفضت الدخول، فطلب وجبة عشاء سفري.

وبينما نحن واقفون ننتظر دورنا بأخذ الطعام من المطعم، اتصل السيد محمّد رضا الجابري بحسن وقال له: عليك الحضور اليوم إلى مطار بغداد الدولي عند الساعة ٩:٣٠ مساء لدينا واجب خاص.

والدة محمد الشيباني:

بتاريخ ٢٠٢٠/١/٢م المصادف يوم الخميس اتصلت بولدي محمّد أكثر من مرّة ولم يجب على اتصالاتي، فقلت: ربما كان مشغولاً في عملة أو في اجتماع ما وترك هاتفه بعيداً.

وفي اليوم نفسه المصادف يوم الخميس تحديداً عند الساعة ١١:٠٠ مساءاً بتوقيت بغداد، اتصلت بي ابنتي أم علي وقالت لي: ماما أشعر بأنّي مختنقة، وقلبي يرتجف خوفاً من لا شيء، أشعر كأنّ شيئاً ما سيحدث اليوم.

قلت لها: لا شيء ماما تعوّذي من الشيطان واقرأي القرآن ونامي.

قسماً بالله، قبل أن تخبرني ابنتي أنّها مختنقة وخائفة من دون أن تعلم السبب، أنا أشعر وكأنّ ناراً شبّت في قلبي، كنت خائفة من شيء ما، لكنّي لا أعلم ما هو؟!

عادةً ما يصاحبني هذا الشعور والإحساس عندما يكون هناك خطر حتمي سيقع لا سمح الله.

زينب سليماني[١]:

كانت آخر مرّة تحدثت مع والدي في الساعة العاشرة مساءاً يوم ٢٠٢٠/١/٢م في ذلك اليوم اتصلت به، وتحدّثنا مرات عديدة، لكنّه أصرّ بشكل لافت، أن لا أبقى وحدي في البيت، أصرَّ عليّ أن أذهب إلى بيت أختي فاطمة. لم أفهم حينها سبب إصراره عليّ، لكن قلت: ربما لأنّ أمي ستكون هذه الليلة مع أختي، طلب منّي أن لا أبقى وحدي في البيت.

كان من المفترض أن أذهب إليه، قال لي: في آخر اتصال له: اصبري قليلاً ولا تأتِ الآن؛ لأنّ الأوضاع ليست جيدة، و اذا تحسّنت الأوضاع، سأخبركِ كي

(١) النص مقتبس من لقاء قناة الميادين الفضائية.

تأتي لي، كما واعدني عندما يعود سنذهب إلى مدينة مشهد معاً، كان غائباً عن البيت لمدة ٢٠ يوماً، ثمّ عاد لفترة قصيرة جدّاً، بعدها قرَّر الذهاب فوراً مرّة أخرى، كنت أتمنّى أن يبقى معنا أكثر أنا وإخوتي لكنّه قال لنا: إنّ لديه أعمالاً مهمّة، كما أنّ الأوضاع ليست جيدة وعليه الذهاب.

صابرين الموسوي:

وصلنا إلى بيتنا الكائن في حي العامل جنوب بغداد، وما إن وصلنا دخل حسن الحمّام ليغتسل وطلب منّي أن أهيء له البدلة (القاط) فسألته لماذا ترتدي البدلة؟ قال: لأنَّه حتماً سيكون واجبنا الخاص مع الحجّاج (الحاج سليماني وأبي مهدي) وأنا أحبّ أن أرتدي هذه البدلة.

حسن طلب البدلة التّي أهديتُها له في يوم ميلاده المصادف ١٩٩١/٩/١٣م فكان كثيراً ما يحبّ أن يرتديها.

اغتسل وارتدى البدلة وتعطّر، وقبل أن يخرج التقطنا صورة سلفي معاً، بقى ماسكاً بيدي حتّى وصلنا إلى باب الدار، وبين خطوة وأخرى يوصيني.

صابرين سيّدتي انتبهي لنفسك جيداً، إن شاء الله ينتهي الواجب وأعود لكِ، اتّصلي بصاحب النقل، وقولي له: أن لا يأتوا لكِ غداً أنا أوصلكِ إلى المطار.

أنا موظّفة في مطار بغداد الدولي، وأغلب الأيام حسن هو مَن يأخذني معه إلى الدوام.

خرج وأغلقت الباب، وما أن غلقت الباب ضغط على منبه السيارة، فخرجت له أسأله ماذا يريد فربما نسى شيئاً ما.

فقلت له: ها حسن هل نسيت شيئاً؟

قال لي: صابرين! انتبهي لنفسك جيّداً، وروحك ستذهب معي أعدك بأنني سأعود فانتظريني.

حين نظرت إلى وجه حسن وهو داخل العجلة كنت على يقين بأنّ حسن يودّعني.

طول اليوم لم أشعر إطلاقاً بأنّ الخوف والقلق تلاشى، بل أصبح يزداد شيئاً فشيئاً.

عند الساعة ١٢:٣٠ من فجر يوم ٢٠٢٠/١/٣م اتصل بي حسن وقال لي: أنا الآن مع الحجّاج سأوصلهم وأرجع إلى المطار حتّى آخذ عجلتي وأأتي إليكِ.

حينها قلت له: أنا بانتظارك يا عزيزي.

أم محمّد الشيباني:

عند الساعة ١٢:٠٥ بعد منتصف الليل يوم ٢٠٢٠/١/٣م المصادف يوم الجمعة، اتصل بي محمّد وقال لي: ماما أنت متّصلة بي؟

قلت له: نعم ماما، اتصلت بك من أجل أن تتحدّث مع أخيك مهدي، أريد أن توصيه بأن يقرأ، هو يسمع منك أكثر مما يسمع منّي.

قال: إن شاء الله ماما، لكن أنا الآن في واجب، وحين أنتهي من واجبي سأتّصل به وأطلب منه ما تحبّين.

والدة علي حيدر:

يوم الخميس المصادف ٢٠٢٠/١/٢م كنّا مجتمعين جميعاً جَمعةً عائليةً، فاتصلتُ بعلي عبر برنامج الواتس آب، كان اتصالاً فيديوياً تحدّث معي، ثمّ تحدث مع شقيقته، ثمّ خالاته ولم نطل الاتصال كثيراً قلنا له: إنّك ما زلت مريضاً ومتعباً بسبب الأنفلونزا ارتح قليلاً.

أ ـ ح:

جلس الحاج المهندس في المقاعد الخلفيّة، وتحديداً جلس خلف السائق، ونادر جدّاً ما أن يجلس الحاج المهندس في المقاعد الخلفية، كما طلب منّي غلق نوافذ العجلة بواسطة الستائر.

سألني الحاج المهندس عن المصدر الذي سرّب لي معلومة الاستهداف، قلت له: بأنّ الضابط فلان هو من أخبرني، كما تأكدت أنا شخصياً من القائد فلان، وأكّد لي صحّة المعلومة أعلاه، وبينما نحن نتحدّث عن مصدر الخبر، وصلت لي رسالة من ذات المصدر مفادها أنّ الرتل المشترك بين مكافحة الإرهاب وقوات الاحتلال الأمريكيّة، تحرك الآن، عرضت الرسالة أمام الحاج المهندس، قرأها ولم يجبني بشي، كما لم أسال الحاج المهندس، أين نحن ذاهبون؟

كنت أتوقّع بأنّ هذا الواجب هو من أجل تفقّد القطعات الأمنيّة المنتشرة التّي تحدثنا عنها؛ لأنّه من المعتاد عند الحاج المهندس، عندما تصل لنا أيّة معلومة أمنيّة حسّاسة، يحاول أن يتأكّد شخصياً من صحّة المعلومة.

عندما سألني الحاج المهندس عن مصدر المعلومة الأولى، وعن انتشار جهاز مكافحة الإرهاب في المنطقة الخضراء، وعلى جانبي طريق مطار بغداد الدولي.

قلت له: بأنّي أخرجت عدداً من عناصرنا الأمنيين بعجلات مدنيّة، واستطلعوا كلَّ مداخل ومخارج الخضراء، وأكّدوا لي بأنّه يوجد انتشار أمني واضح، كما من غير المألوف أن تنتشر قوات أمنية بهذا العدد وتلك الآليات داخل بغداد.

وبينما نحن نتحدّث كان الحاج المهندس، بين دقيقه وأخرى يزيح الستائر عن نافذة العجلة ويشاهد القوات المنتشرة على جانبي الطريق، وما إن انتهيت من حديثي مع الحاج المهندس، قال لي: نصّاً: «بويه! قوات الاحتلال الأمريكيّة لا تستطيع أن تنفّذ أيّ ضربه بعد؛ لأنّها تخشى الرد، كما لا يمكنها مواجهتنا ميدانياً؛ لأنّ تعداد مجاهدينا أصبح أكثر من ١٥٠ ألف مقاتل مدرّب، الآن قواتنا تختلف عن السابق، فقد أصبح لدينا عدّة وعدد وإمكانيات أكبر بكثير من السابق، وإذا أرادت قوات الاحتلال أن تجرّب فهذا الميدان جاهز، أنت ماذا تقول؟

والله العظيم يا حاج اشتقنا لمقاومة الاحتلال وتذكيرهم بصولاتنا البطولية.

بقى الحاج المهندس مبتسماً، حتّى وصلنا إلى جسر مدخل الخضراء الذي شاهدنا عليه توقّف عجلات جهاز أمني معروف، كانوا يباشرون بالانتشار فوق الجسر، سألني الحاج المهندس عن سبب تواجدهم هنا، وهل كانوا يتواجدون في كلّ يوم في هذا المكان؟ قلت له: لا، هذا المرَّة الأولى التي ينتشر فيها عنصر هذا الجهاز مع عجلاتهم الخاصّة في هذا المكان تحديداً، فردّ قائلاً: هذه المرَّة إذا نفّذت قوات الاحتلال أيَّ ضربة عسكرية اتجاه مجاهدينا في الحشد الشعبي أو القوات الأمنية، لن أسكت عنهم، وإذا كنتُ سابقاً دخلت على سفارتهم بالحجارة والرايات؛ ردّاً على قصف شبابنا بالقائم، فهذه المرّة الجميع يأخذ سلاحه ويدخل عليهم ولن أبقي لهم باقية.

سألني الحاج المهندس: إذا عدنا إلى الخضراء فمن أي بوابه ندخل؟ قلت له: الأمر إليك، كلّ البوابات نستطيع الدخول منها، قال لي: ندخل من البوابة رقم ٤، فقلت له: هذه بوابة المطار، لم يجبني، وصار يسألني، عن كم يوم قضيت من الأيام في الواجب؟ قلت له: منذُ ستّة أشهر لم أنزل إلى أهلي، فقال: لماذا؟ قلت له: لأنّك لم تذهب إلى دارك منذُ خمسة أشهر، عندما تذهب أنت، أذهب أنا إلى أهلي.

قبل وصولنا إلى مطار بغداد الدولي، الذي لا أعرف لماذا نحن هنا؟ وماذا يريد الحاج المهندس من هذا الواجب؟ كلّفني عن واجب في يوم الجمعة، كما كلّفني عن واجبات يوم السبت، وصلنا إلى مطار بغداد الدولي، وفي مكان

أظلم لا تغطّيه كامرات المراقبة، طلب منّي الحاج المهندس التوقّف، وأثناء توقّفنا توقّفت عجلة صالون سوداء اللون، يقودها السيّد محمّد رضا الجابري، ترجّل الحاج المهندس منّا واستقلّ تلك العجلة السوداء الذي يقودها الجابري، جلس الحاج المهندس بالمقاعد الخلفية تحديداً خلف مقعد السائق، ترجّلت أنا سريعاً مع الحاج المهندس، لكنّه رفض مرافقتي إيّاه، وطلب منّي الانتظار من ١٠ إلى ١٥ دقيقه فقط، كما قال لي الحاج المهندس: انتظرنا هنا حتّى تنسّق لنا دخول المطار معاً، أخبرته حينها: بأنّي قمتُ بتنسيق كلّ الاتصالات لدخولنا مجدداً للخضراء.

طلب السيّد محمّد رضا من السائق الذي كان برفقتنا أنا والحاج المهندس، أن يتواصلوا عبر برنامج الواتس آب فقط؛ لأنّنا أعتدنا في الواجبات الأمنية نتواصل بواسطة الرسائل المشفّرة، أو بالرموز المتَّفق عليها سابقاً.

ذهب الحاج المهندس برفقة الجابري، وبقيت أنا برفقة السائق ننتظر، طبعاً حتّى الآن لا أعرف لماذا أتينا إلى مطار بغداد الدولي، كما لا أعلم مَن الذي سيرافق الحاج المهندس من داخل المطار.

إلى الآن لم ألاحظ أيّ شيءٍ ملفت للانتباه سوى انتشار جهاز مكافحة الإرهاب على جانبين الطريق الرابط بين مطار بغداد الدولي والمنطقة الخضراء، وكان لي حينها ألف علامة استفهام حول ذلك الانتشار.

طلبت من السائق أن نتحرّك ونكون بالجانب الثاني من الطريق، حتّى نكون بطريق الحاج المهندس حين يخرج من المطار.

توقّفنا بالجانب الثاني، ومضى على انتظارنا أكثر من ١٥ دقيقه، قلت: للسائق: تأخّروا كثيراً، قال: ربما سافر الحاج المهندس إلى عائلته، ابتسمت في وجهه، وقلت له: أنا أعرف أنّ الحاج المهندس رجل أمني، لكن ليس إلى هذا الحدّ، يتركنا واقفين هنا وهو يذهب إلى أهلة، كذلك لا توجد أيّ علامة تدل على أنّه سيسافر بعد قليل.

مضى على دخول الحاج المهندس إلى مطار بغداد، أكثر من ٣٠ دقيقه، الساعة الآن ١٢:٣٠ صباحاً، ولم تصل لنا أي رسالة حتّى الآن، طلبت من السائق أن يتواصل مع الأخ محمّد رضا الجابري، أرسل السائق رساله مشفَّرة مفادها، أين أنتم الآن؟ وخلال ثواني جاء الرد من محمّد رضا الجابري، نحن اتجاهكم الآن، لم يمض أكثر من ٥ دقائق على رسالة الجابري، حتّى سمعنا صوت دوي ثلاث انفجارات متتاليه لا تعرف طبيعتها، توقّعنا أنّ هذا الصوت ناتج عن قصف القاعدة الأمريكية داخل المطار، لكن انتشار جهاز مكافحة الإرهاب بسرعة وتعزيز قواتهم المنتشرة بقوات إضافية، أثار استغرابي جدّاً، كذلك غلق دخول المطار والخروج، غير مألوف تماماً، فوراً اتصلت بالسيّد محمّد رضا الجابري، لكن كان الخط مغلقاً، طلب منّا جهاز مكافحة الإرهاب مغادرة المكان، لكنّنا رفضنا المغادرة؛ كي نطمئنّ على الحاج المهندس، أصرّوا على

مغادرتنا للمكان، طلب منّي السائق المغادرة إلى أقرب موقع عسكري تابع لنا حتّى نستطيع الاتصال بالأخوة في دار الحاج المهندس؛ لأنّ الهواتف التّي معنا خاصه للمهمات الأمنية، فلا يمكن أن تتلقى أيّ اتصال، كما لا يمكننا الاتصال على الهواتف العادية، وهواتفنا الخاصّة تركناها في منطقة الخضراء.

قبل أن أغادر المكان اتصلت بالهاتف الخاص في مكتب التشريفات، أجابوني أنّ الانفجارات طالت عجلات المكتب الخاصّة، والحجّاج معهم، سألت الشخص الذي أجابني، أيّ حجّاج تقصد؟ قال: لا أعرف، قررت مغادرة المكان، حتّى أستطيع أن أخبر الأخوة، أنّ الحاج المهندس، معي وهو في مطار بغداد الدولي، وحدث تفجير داخل المطار لا تعرف طبيعته، أنا على يقين أن لا أحد سواي يعرف مكان الحاج المهندس، حتّى الدكتور علي الخفّاف المقرّب جدّاً من الحاج المهندس، لم يخبره الحاج المهندس عن المكان الذي نقصده.

علي الخفّاف:

في الساعة ١٢:١٠ صباحاً يوم ٢٠٢٠/١/٣م غادر الحاج المهندس البيت، وطلب من الأخوة المرافقين ترك هواتفهم الخاصّة هنا، خرجتُ معه حتّى وصلنا إلى العجلة الّتي يستقلّها، طلبتُ منه مجدداً مرافقته وكذلك رفض وأوصاني أن أبقى بانتظاره، بقيتُ جالساً في الصالة الّتي تطلّ على غرفته الشخصية منتظراً إيّاه كما أوصاني.

في الساعة ١٢:٤٠ صباحاً جاءني خبر عاجل عبر تطبيق قناة السومرية مفاده بأنَّ صواريخ كاتيوشا تستهدف مطار بغداد الدولي، لم يثر اهتمامي ذلك الخبر إطلاقا، بقيت أتصفّح بهاتفي.

في الساعة ١٢:٥٥ صباحاً، اتصل بي الأخ ع ـ ف، و قال لي: هناك قصف صاروخي استهدف مديرية العلاقات العامة في هيئة الحشد الشعبي، الكائنة في مطار بغداد الدولي. على الفور اتصلت بالأخوة في مديرية الطبابة الّتي أنا أشغل منصب مديرها العام وأمرتهم بالتوجّه فوراً إلى مطار بغداد الدولي برفقة عجلات الإسعاف.

انشغل فكري كثيراً على الحاج المهندس، لكن سرعان ما تذكّرت بأنّه قال لي: سيكون في المنطقة الخضراء، اتصلت على الأخ أـ ح الذي خرج برفقة الحاج المهندس، لكن هاتفه كان مغلقاً، اتصلت بسائق العجلة الذي خرج معهم فكان جهازه مغلقاً أيضاً.

اتصلت بالحاج المهندس، شخصياً لكنّه رنّ داخل الغرفة التّي كنت واقفاً على بابها منتظراً مجيئه.

استقليت عجلتي قاصداً مطار بغداد، لكن قلبي يرتجف؛ خوفاً على الحاج المهندس، الذي لا أعرف أين هو الآن.

عند خروجي من المنطقة الخضراء باتجاه مطار بغداد، شاهدت عجلتين نوع نيسان باترول في مدخل الخضراء، فقلت ـ في نفسي ـ : ربما يكون الحاج المهندس فيها وقد عاد إلى البيت بعجلات أمنيه مختلفة، مع علمي بأنّه خرج بعجلة نوع تويوتا برادو بيضاء اللون، لكن كنت أأملُ ذلك من شدّة خوفي عليه.

اتصلت بالأخوة المرافقين في البيت، وسألتهم عن الحاج المهندس، قالوا لي: لم يأت حتّى الآن.

لم يصمت هاتفي حتّى لدقيقه واحدة، الجميع يسألني عن الحاج المهندس، وأنا لا أعرف ماذا أقول لهم، فأنا شخصياً لا أعرف أين هو الآن.

عندما وصلت إلى مدخل مطار بغداد اتصل بي شباب الطبابة وأخبروني بأنَّ السيّد محمّد رضا الجابري، مدير مديريّة العلاقات العامّة في هيئة الحشد الشعبي قد نال وسام الشهادة؛ نتيجة القصف.

بكيت على فراق رفيقي، محمّد رضا، فقد كان بالنسبة لي أكثر من أخ، لكن ما زال خوفي على الحاج المهندس لم يجعلني أعي لما حولي.

كانت حركة المسافرين طبيعية جدّاً، لكن طريق الذهاب إلى داخل المطار أصبح ذهاباً وإياباً، وهذا يعني أنَّ طريق الخروج الرسمي من المطار مغلق.

وصلت، و يا ليتني لم أصل في تلك الليلة، تمنّيت الموت قبل أن أرى ما رأيتُه هناك.

صورة احد شهداء الاعتداء الامريكي على قادة النصر

النار مشتعلة في الأجساد المقطَّعة، والأجساد متناثرة على طول الطريق، عن مَن أبحث وأنا لا أعرف من هنا؟ وقفت قرب هذه العجلة المشتعلة، التّي لا أعرف اسمها ولم يبقَ منها شيء يدلُّ على أنَّها عجلة، حديد منصهر بالنار تجانس مع تلك الأجساد المقطَّعة.

على ضوء إنارة هاتفي أسير بحذر كي لا أضع أقدامي على تلك الأجساد المتناثرة.

عشرات الشباب يسيرون خلفي بأمل أن أتعرَّف على شيء من تلك الأجساد، لكن على أي شيءٍ أتعرّف؟! فأنا لا أعرف قدم مَن هذا ويد مَن تلك، ومن هو صاحب ذلك الجسد الذي ما زال مشتعلاً؟

قال لي الأخوة في مديرية العلاقات: إنَّ الشهيد محمّد رضا خرج بتلك العجلات، وقال لنا: إنّه في واجب خاص، ولا نعرف مَن معه سوى الأخوة: محمّد الشيباني، وعلي حيدر، وحسن مقاومة.

كلّ هذه الأسماء التّي قالوها لي تدلُّ على أنَّ هناك ضيفاً مهمّاً معهم لا محال، لكن استبعد أن يكون الحاج قاسم سليماني؛ لأنَّه لا شيء في بيت الحاج المهندس يدلُّ على مجيئه، كما أستبعد أن يكون الحاج المهندس معهم؛ لأنَّه قال لي: انتظرني سأذهب إلى مكان قريب داخل الخضراء وأعود، فكيف يكون هنا؟!

لا أعرف مَن معهم، كما لا أعرف أين الحاج المهندس حتّى الآن.

وبين ما أنا أبحث وسط ذلك الظلام والدم رأيتُ السيد أبو بلال الجابري، يبحث عن جثمان ولده محمّد رضا، وسط الأشلاء المقطَّعة، حاولت إخفاء نفسي عنه؛ حتّى أستطيع إكمال بحثي عن جثامين الشهداء، فأنا قد بلغت ذروتي من الحزن، وأخاف أن أنهار في أي ساعة، فأنا لا أستطيع أن أبقى

صامداً اذا سألني عن ولده محمّد رضا، الذي ما زال جثمانه يحترق وسط العجلة.

كاظم الجابري:

بتأريخ ٢٠٢٠/١/٣م عند الساعة ١:٠٠ بعد منتصف الليل، المصادف يوم الجمعة، جاءني ولدي هادي وقال لي: بابا محمّد رضا تعرّض للإصابة الآن؛ نتيجة قصف صاروخي أطال مطار بغداد الدولي.

خرجتُ مذعوراً أتعثّر بثيابي مرافقاً ولدي هادي إلى مطار بغداد، طوال الطريق من منطقة الكرّادة حتّى مطار بغداد، أنا اصبّر نفسي بنفسي وأقول: لا شيء إن شاء الله مجرد إصابة طفيفة وسيعود معي الآن، كي تطمئن أمّه التّي بقت خلف الباب تنتظر قدوم ولدها البكر بسلامة. كلّ ذلك الحديث الذي أُحدّث نفسي به في الطريق، ذهب في مهبّ الريح، عن أي جرحى يتحدّث ولدي هادي؟! وعن أي إصابات طفيفة؟! فأنا هنا وصلت إلى موقع الحادث، لا أرى للجرحى وجوداً، ولا وجوداً لأجسادهم أصلاً، هنا قدم مقطوعة، وهناك جثّة متفحّمة، ولا أعرف جثمان مَن ذاك الملقى على الطريق، دم ونار وأشلاء متقطّعة، هنا شباب تصرخ، وهناك فتاة تجلس قرب أحد الجثامين، فسألت ولدي هادي: بابا! محمّد رضا وين؟ يبقى صامتاً لا يجيب، وأنا ضعيف البصر وفي الليل والظلام لا أرى كلّ شيء، سرت بين الجثامين المقطّعة، وكأنَّها صورة عن طف كربلاء، النار في كلّ مكان، وأنا لا أعرف أين أجد ولدي الآن؟ وأنا

أتسأل عن ولدي محمّد رضا، نادى أحد الشباب بصوت مرتفع: هذا محمّد رضا، لا أستطيع أن أهرول مثلهم، لكن صرتُ في أمل أن يكون جريحاً وهناك سأجده متكئاً على جدار المطار، لكن حتّى هذا الأمل لم يدم لي، فما إن وصلت حتى وجدته ما زال وسط النار داخل إحدى العجلات المشتعلة، ذهبت له مسرعاً، كي اطفي تلك النار من جثمانه وآخذه في أحضاني، لكن لم يسمحوا لي خوفاً عليه، جلست أرضاً وأنا أنظر إلى جثمان ولدي البكر محمّد رضا، ذلك الشاب الجميل يحترق أمامي حتّى خمدت النار، وما إن أخرجوا جثمان محمّد رضا من العجلة حتى أخذته في أحضاني ضمّيتُه إلى صدري، لكن هو لم يستطع أن يضمّني إلى صدره؛ لأنَّ يديه مقطَّعه، أردتُ أن أقبّل ولدي من شفاه لم أجده له رأساً، مددتُ يدي كي أمسح على جثمانه فلم أجد أقدامه، لم يبق من ذلك الشاب الوسيم إلاّ قطع من جسد متفحّمة مقطَّعة إرباً إرباً.

علي الخفّاف:

حاولت عجلات الدفاع المدني إخماد النيران، وأنا ما زلت أبحث وسط الماء والدم على أثر يدلّني على أصحاب الأجساد المقطَّعة المتناثرة أمامي.

ما زال الحاج المهندس مجهول المكان، والإخوة الذين معه مغلقه هواتفهم، صرت أستذكر ماذا كان يرتدي الحاج المهندس؛ لعلّي أجد شيئاً هنا.

ذهبت للعجلة الأخرى والتّي هي العجلة الأولى في الرتل المكوّن من عجلتين، وجدت أجساد الشهداء ملقاةً على الأرض، تعرّفت على جثمان الشهيد حسن مقاومة من مكتب علاقات الحشد الشعبي في مطار بغداد، وهناك شاهدتُ امرأه تبحث عن جثمان حسن مقاومة، أعتقد أنَّها زوجته.

صابرين الموسوي:

عند الساعة ١٢:٣٧ صباحاً سمعت صوت دوي انفجارٍ قريبٍ، لكنَّي لم أعر أهمّيةً له؛ لأنَّنا اعتدنا على أصوات الانفجارات في بغداد.

وفي الساعة ١:٠٠ صباحاً جاءني اتصال من زملائي في مطار بغداد الدولي، وزملائي هم زملاء زوجي حسن أيضاً، فحسن موظَّف مدني في مطار بغداد الدولي معي، لكنَّه حبّاً بالجهاد والحشد الشعبي نسَّب نفسه معهم، وصار يعمل مع محمّد رضا الجابري في مديرية العلاقات في هيئة الحشد الشعبي.

سألني المتَّصل عن محل تواجد حسن هل هو بالبيت معكِ الآن؟

فقلت له: لا، حسن ذهب إلى مطار بغداد.

فسألني مجدَّداً: هل حسن مع محمّد رضا الجابري؟

فقلت له: نعم لماذا تسأل عن حسن هكذا هل حدث شيءٍ ما؟

قال: نعم تعرَّض المطار إلى قصف صاروخي وربما تعرَّض حسن للإصابة.

لم أنتبه كيف غلقت التلفون، لكنَّي صرت أحدّث نفسي بصوت مرتفع راح حسن! هذا الخوف الذي يعيش معي منذُ الصبح تبيّن لي الآن!

اتصلت بأخي حتّى يرافقني إلى مطار بغداد، وصل أخي وذهبنا معاً، لم نصل بعد حتّى اتّصلوا بيه مجدَّداً ليقولوا لي: صابرين! حسن استشهد.

أنا كنت على يقين، أنَّ الطريق بين دارنا ومطار بغداد عشر دقائق فقط، لماذا أشعر به وكأنَّه أصبح عاماً كاملاً؟

كنت أقول لأخي: إنَّك لا تسير سريعاً، أنزلني أنا أسير على الأقدام أسرع منك!

أشعر بإنَّ العجلة متوقّفة، مع أنَّ أخي كان يقسم لي بأنَّه صار لا يرى الطريق؛ للسرعة الشديدة!

أنا أُريد أن أصل إلى حسن بأسرع وقت، فأنا أعتقد أنَّه جريح؛ لأنَّه قال لي: صابرين انتظريني سأعود، لماذا يقول: انتظريني إذا كان يريد أن يستشهد؟

ما إن وصلت إلى موقع الحادث حتى شاهدت زوجي حسن ملقي على الطريق العام مخضَّباً بالدماء، كان مستشهداً، لكن ما زالت عيونه مفتوحة وينظر إليَّ، أخذته بأحضاني وأنا أزيل التراب عن وجهه الجميل، وأتحدّث معه، حسن يا

روحي، كيف تستشهد وأنت قلت لي: انتظريني؟ حسن تسمعني؟ أنا صابرين حسن! حسن!

اخذوا حبيبي من أحضاني إلى حضن ذلك الكيس الأسود، الذي أخذ منّي أجمل شيء في حياتي.

والدة علي حيدر:

طالت جلستنا العائلية إلى ما بعد منتصف الليل من يوم الجمعة المصادف ١/٣ اتصل ابن شقيقتي بوالدته وقال لها: هناك قصف صاروخي طال مطار بغداد الدولي اتصلوا بعلي خاف يمه شيء، أخبرتني أُختي ما قال لها ولدها، نظرت إلى الساعة وجدتها ١:٣٠ صباحاً، فقلت لهم: ربما علي نائم الآن، سأترك له رساله وهو يتَّصل حين يستيقظ، فتحت برنامج الواتساب، وجدت آخر ظهور له عند الساعة ١١:١٠م، فتركت له رساله، فأنا معتادة على ولدي علي أنَّه حين يجد منّي أيَّ رسالة أو اتصال، يتَّصل بي مباشرةً كي يطمأن أحدنا على الآخر، في بعض الأيام كان يتصل بي قبل أن يغلق هاتفه ويقول لي: ماما سنكون في مكان لا توجد في شبكات لذلك لا تقلقي حين تتّصلين بي.

تركت هاتفي أمام عينيَّ على أمل أن يردَّ علي عليَّ حين يستيقظ. وصلت لي رسالة من زوجة عمّ علي (حماتي) تسألني فيها هل أنَّي ما زلت مستيقظة؟

لا أعلم لماذا قلبي يعتصر ألماً خوفاً على علي؟! قلت: نعم ما زلت مستيقظة هل حدث شيءٍ ما؟

قالت: أخرجي إلى حديقة البيت أريد أن أتحدَّث معكِ بأمرٍ ما، ولا أريد أبو علي يعرف به.

تقع دار عمّ علي ملاصق لدارنا، خرجت ورأيتها تنتظرني، فسألتها عن سبب مناداتي؟ قالت لي: أذاعوا خبراً بأنَّ علياً أستشهد، لكن لم نتأكد بعد، فهم كتبوا حيدر علي، ولم يقولوا: علي حيدر.

لا أعلم ماذا حلَّ بي حينها، لكن بقيت بأمل أن الاسم خطأ، مضافاً إلى أنَّ عليّاً مريض ولا يمكن له الخروج.

مهنّد العقابي:

عند الساعة ١١:٣٠ مساءاً وضعت هاتفي العام صامتاً، وتركت الهاتف الخاص مفتوحاً لأي طارئ.

لم أشعر بأنّي نمت كثيراً، حتّى سمعتُ هاتفي ـ الذي وضعته صامتاً على الاهتزاز ـ يصدر صوت الاهتزاز لأكثر من مرَّة، نظرت له فوجدتُ اتصالاً من أحد الأصدقاء الذي لم يتصل بي منذُ سنوات، تركتُه يتّصل وعدتُ للنوم مجدَّداً، رنَّ الهاتف مرَّة أخرى! فقلت: ماذا يجري؟! لماذا تذكّرني هذا الصديق الآن؟ لم أنتبه للوقت بعد، عدتُ للنوم مرَّةً أخرى، فأنا متعب جدّاً، رنَّ هاتفي لكن هذه المرَّة كان هاتفي الخاص، نظرت مَن المتَّصل فوجدته الأستاذ جعفر العائدي، مدير قناة العراقية نيوز، أجبتُه فوراً ها جعفر؟! قال: حجّي! أحد الأخوة كان مسافراً خارج العراق، والآن أثناء خروجه من مطار بغداد الدولي

شاهد عجلتين تحترق نتيجة تفجير، وكل الأوراق المتناثرة قرب العجلات تدلُّ على أنَّ العجلتين تابعتان لهيئة الحشد الشعبي.

أنهيت المكالمة مع جعفر، وفتحت كروب خلية الإعلام الأمني، وما إن فتحت الكروب حتى شاهدت أحد الإعلاميين قد كتب: الميلشيات تقصف مطار بغداد الدولي بصواريخ الكاتيوشا، أتذكر الذي كتب الخبر هو س ـ أ.

قلت: ربما الإخوة المجاهدون قصفوا القاعدة الأمريكيّة التّي موقعها داخل مطار بغداد، وأثناء خروجهم تعرَّضوا للرد سريعاً ممّا أدّى إلى استشهادهم.
عاودت الاتصال بصديقي الذي لم أجب على اتصاله، وسألتُه ـ بعد التحيّة ـ عن طبيعة الحادث الذي وقع على طريق مطار بغداد الدولي.

فأخبرني بأنَّ هناك عجلتين تحترق نتيجة تعرّضهما للقصف، وأخبرني بوجود هويات عسكرية وباجات متناثرة على الأرض تدلّ على أنَّ العجلات تابعات للحشد الشعبي، وإحدى الهويات العسكرية باسم محمّد رضا كاظم الجابري.
كلّ تلك الاتصالات التّي أتحدَّث لكم عنها لا تتجاوز عشر دقائق فقط، فأنا أوَّل مَن علم بالحادث، لكن لم يخطر في بالي بعد سماع شهادة محمّد رضا الجابري، سوى الاتصال بالحاج المهندس شخصياً، اتصلت به فرنَّ الهاتف حتّى انقطع، قلت: الحمد لله ما زال هاتف الحاج المهندس يرن، يعني الحجّي بخير وحتماً نائم الآن؛ لأنَّه كان مريضاً.

صورة للتخويل الأمني الخاص بعجلات قادة النصر الذي عثر عليه بعد استهداف عجلاتهم

علي الخفّاف:

عثرت على جثمان حسن مقاومة مقطَّعاً، لكن بقى للجثمان أثر يدلُّ على صاحبه، كما وجدتُ جثمان عليّ حيدر مفحّماً، لكنّه بقى شيء يدلُّ على هويته.

تعرّفت على جثمان الشهيد وحيد زماني، والشهيد هادي طارمي المرافقين للحاج قاسم سليماني.

صورة لجثمان أحد الشهداء المرافقين لقادة النصر

حين تعرفت على الشهيدين زماني وطارمي، شعرت بالخوف الحقيقي على الحاجّين المهندس وسليماني.

عدت إلى العجلة الثانية التّي فيها تعرفت على بقايا من جثمان الشهيد محمّد رضا الجابري، وما إن خمدت النار أكثر بان أمامي جثمان سائق العجلة الذي

لم يبقَ شيء جثمانه سوى قطعة متفحّمة، ويده اليمنى التي ما زالت موجودة محترقة على مقود العجلة، وكان يرتدي في يده خاتم، حملت يد الشهيد بيدي؛ كي أنزع منها ذلك الخاتم الذي ربما يدلّنا على صاحب الجثمان المتفحّم، وضعتها في كيس أسود وكتبت عليها يد السائق مع خاتمه.

صورة لخاتم الشهيد محمد الشيباني

أ- ح:

قلت مع نفسي ربما الحاج سليماني هنا والحاج المهندس، ذهب لاستقباله كما هو معروف ومعلوم.

قررت الدخول إلى مطار بغداد مجدّداً حتّى أتأكد من صحة المعلومات وأتعرّف على هوية الذين استشهدوا مع محمّد رضا، لكن أمن المطار منعوني من الدخول، انسحبت إلى موقعنا العسكري القريب من مطار بغداد الدولي،

ومن هناك اتصلت بالأخوة المرافقين، وطلبت منهم القدوم إلى مطار بغداد من أجل أن ندخل معاً، كنت مصرّاً على دخول المطار، حتّى وإن اضطررت لاستخدام القوة، لكن قبل وصول الشباب لي تقريباً في الساعة ١:٠٧ صباحاً، بعد القصف بـ ٣٠ دقيقة، فُتح طريق المطار.

وصلت إلى موقع الحادث برفقة عدد من الأخوة المرافقين، وهنا رأيت ما لم يخطر على البال.

أجساد مقطَّعة، وأخرى تحترق وسط النار، أبحث عن إي شيء يدلّني على أنَّ الحاج المهندس ليس معهم، تيقّنت من شهادة السيّد محمّد رضا الجابري، وأعلم أنَّ الحاج المهندس معه، لكنَّي أرفض أنَّ فكرة استشهاد الحاج المهندس وأنَّه غادر العراق.

لم أر أقسى من تلك الضربة طيلة حياتي.

هنا رأيت الدكتور علي الخفّاف يبحث وسط النار عن الأجساد المتناثرة، لكنّه لم يسألني عن الحاج المهندس، وأنا لم أخبره بأنَّ الحاج المهندس مع محمّد رضا الجابري.

أسمع من الأخوة الذين يقفون حولي بأنَّه ربما يكون الحاج سليماني مع محمّد رضا، ومعهم الحاج المهندس، لكن ما زلت لم أصدّق، فأنا أوّل من يعلم لو كان الحاج سليماني قادماً إلى العراق.

عندما يريد الحاج قاسم سليماني المجيء إلى العراق، يخبرني الحاج المهندس أوّلاً؛ وذلك من أجل إكمال كلّ الأمور المتعلّقة باستقباله، مثل تجهيز جناحه الخاصّة وهو داخل منزل الحاج المهندس، وتجهيز جناح المرافقين له، مع طلب زيادة عدد عناصر الأمن خارج المنزل، وإدخال بعض المرافقين داخل المنزل عندما يكون الحاج المهندس بمفرده داخل الدار؛ فإنَّه كان يرفض وجود المرافقين له داخل الدار، لكن مع وجود الحاج سليماني، كان يطلب الحاج المهندس منّي دخول المرافقين داخل الدار، كذلك تجهيز العجلات الأمنية في حال طلب الحاج سليماني ذلك لزيارة المراقد أئمة أهل البيت عليهم السلام، أو زيارة المراجع، وما شابه ذلك.

علماً بإنَّ الحاج قاسم سليماني ـ عادةً ـ لا يبقى في العراق أكثر من ثلاث أيام فقط، وهو كالحاج المهندس يرفض أن يستقلَّ العجلات المصفَّحة، كما ويرفض أن ترافقه أكثر من عجلة واحده، وعندما يتواجد في مكانٍ ما يرفض أن يترجّل معه أي عنصرٍ من العناصر المسلّحة.

لذلك كنت أعمل على توفير عجلات خاصه مدنية، مهمّتها أمنية مخابراتية تنتقل معنا، لا يعلم في مهمتها إيّ أحد على الإطلاق، حتّى على مستوى الحاج قاسم سليماني، و الحاج المهندس.

علي الخفّاف:

لم يبق من العجلة الثانية ـ التّي وجدنا فيها جثمان السائق ومحمّد رضاـ شيء كلّها محترقة مهشَّمة، وهي هي العجلة الأكثر إصابة من الأولى.

وجدت كتاب محترق لم يبقَ منه سوى شيء قليل يدلُّ على أنّه كتاب عربي، وأعتقد أنَّه كان نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام.
نفسياً أشعر بأنَّي مفجوعٌ ومكسورٌ، وإحساسي يقول هناك شيءٍ ما، لكنَّي لم أجد أيَّ دليل حتّى الآن يجعلني أصدّق تلك الأحاسيس.

أسمع هناك في الجهة الثانية من العجلة شباب تصرخ وتناديني دكتور علي تعال شاهد، لم أرَ شيئاً بعد، لكن خوفي من أن أرى شيئاً من جسدي الحاجّين المهندس وسليماني، جعلني لا أستطيع حتّى أن أتحرّك، فأنا أرتجف خوفاً من أن أُصدّق برحيلهم، وصلت لهم وقسماً بالله تمنيت أن تكون تلك الأمتار آلاف الكيلومترات حتّى لا أرى ما رأيتُه، فما إن وصلت وجدتهم يحملون اليد اليمنى للحاج قاسم سليماني، تلك اليد التّي يرتدي فيها خاتمه، أخذتُها بيدي وصوت الشباب يعلو بجانبي، عليّ! لا تقول هذه كف الحاجّ قاسم.

أنا أعرف يد الحاج قاسم قبل أن أراها، كما يوجد فيها علامة الجراح فهو جريح حرب. الشباب حولي يصرخون: راح الحاج قاسم. وأنا قلبي يصرخ: أظنّ أنَّه راح الحاجّ أبو مهدي معه أيضاً.

الشباب يبكون وهم يسألوني: دكتور علي هل تأكدتَ جيداً أنَّ هذا كف الحاج قاسم؟

قلت لهم: نعم هي كف الحاج قاسم سليماني، هي الكف التي دافع فيها عن الإسلام والمسلمين لأكثر من أربعين عاماً، أنا أعرف هذا الكف جيداً؛ فقبل عدّة أشهر قال لي الحاج قاسم: إنَّ يدي تؤلمني بسبب الإصابة القديمة وقد كشفها لي وفحصتها، كان يوجد فيها قطع معدنيه صغيرة (شظاية) تضرب على العصب، وقد أخبرته حينها أنَّها تحتاج إلى تدخّل جراحي، لكن أحد الأخوة المكلّفين في مرافقة الحاج قاسم سليماني في العراق، رفض إجراء العملية هنا، وقال: ربما تسبّب له بعض المضاعفات ونقع في إحراج.

انتشرت تلك الصورة لكف حجي قاسم المقطوعة والتي أخذت ما أخذت من قلوب محبّيه في العالم.

شعرت بالخوف والوحدة، فأنا هنا وحدي، وأخاف أن أفقد جثامين الشهداء، صرت أشعر بأنَّني المسؤول عن تلك الجثامين وما يخصّها من دلائل، كما كنت خائفاً من أن يأتي الأمريكان لأخذ جثامين الشهداء؛ لذلك خوفاً من أن أفقد يد الحاج قاسم أخذتها بيدي ووضعتُها داخل عجلتي الخاصّة.

عدتُ من جديد أبحث عن علامة تدلّني على الحاج المهندس، وأسأل نفسي أين هو الحاج المهندس؟ العجلات تختلف عن تلك العجلة التّي خرج فيها أمامي، كما أنَّ أسماء الشهداء ليس هم الذين خرجوا مع الحاج المهندس، وبين ما أنا أتساءل مع نفسي ولم أجد جواباً، شاهدت المرافق أ ـ ح، يبحث معي عن بقيّة الشهداء؛ ولشدّة الصدمة لم أسأل أ ـ ح، أين الحاج المهندس؟ وهو الذي خرج معه حين تركوني في دار الحاج المهندس، عثر المرافق أ ـ ح على قطعة من (قمصلة) عسكرية، وقال لي: هذه قمصلة الحاج المهندس التي يرتديها، دققتُ فيها فوجدتها لا تشبه التي ارتداها أمامي الحاج المهندس.

أ ـ ح:

أبحث عن أيّ دليل حول العجلات يدلّنا على الحاج المهندس، لكن كلّ شيء مقطَّع إرباً إرباً، شاهدتُ الدكتور علي الخفّاف يغسل بيده قطعةً من أجساد أحد الشهداء على أمل أن يتعرَّف على صاحبها، وجدت جزء من القميص

الذي كان يرتديه الحاج المهندس، لكن علي الخفّاف نفى ذلك، وقال: ربما السيّد محمّد رضا كان هو مَن يرتديه؛ لأنَّه يرتدي ثياب الحاج المهندس أحياناً. أنا كنت على يقين أنَّ تلك القطعة من قميص الحاج المهندس، لكن أصّر الدكتور عليّ الخفّاف على رفضها.

شعرت بأنَّ الدكتور لا يريد أن يصدّق بأنَّ الحاجَّ المهندس مع الشهداء، حتّى أنا مع قناعتي التامّة بأنَّ تلك القطعة من القميص الذي يرتديه الحاج المهندس، لكنّي ما زلت أرفض أن أُصدّق بأنَّ الحاجَّ المهندس رحل شهيداً.

استمرَّ علي الخفّاف بالبحث، ولكن أصبح لدينا شبه اليقين بأنَّ الحاجَّ المهندس والحاجَّ قاسم سليماني نالا وسام الشهادة معاً، لكن أنا ما زلتُ أرفض ما أُشاهده، وبقيت على أمل أن يكون الأمر ليس كذلك!

علي الخفّاف:

خلف العجلة الثانية بما يقارب ١٠٠ متر وجدت قطعةً من أحد الأجساد، تقريباً منطقة الصدر والظهر وقليل من أحشاء البطن، أخذت أُقلّبها بيدي كي أتعرَّف على صاحبها، لكن لا علامة فيها واضحة سوى قطعه من البلاتين المثبت في العمود الفقري لصاحب الجثمان، ناديت الشباب بحملها وأخذها إلى عجلتي، فسألوني لمن هذه القطعة؟ قلت لهم: هذا جزء من جسد الحاج قاسم سليماني؛ فهو الوحيد بين الشهداء جريح، وأنا أعرف أنَّه مصاب في منطقة الظهر وفيه (بلاتين).

ذات يوم كنت أتحدّث مع الحاج قاسم سليماني عن الإصابات الّتي تعرّض لها طوال السنوات الّتي قضاها في ساحات الجهاد، فصار يتحدّث لي عن تلك الجراح، ومنها ما ذكرتُ من أنّه مصاب في منطقة الظهر وفيها بلاتين، حينها سألته: يا حاجّ! كم إصابة مصاب حتّى الآن؟ فقال لي: إنَّي مصاباً بـ ٢٨ إصابة في جميع أنحاء جسدي.

تكرّر عليَّ السؤال عن الحاج أبي مهدي كثيراً وأتعبني؛ فأنا لا أريد أن أُصدّق بأنَّ الحاجَّ المهندس مقطَّعاً مع الشهداء، كما وأنَّي كلّما مرَّ الوقت ولم أجد شيئاً يدلُّ على وجود الحاجّ المهندس أعيش في أمل أكبر.

صرتُ أبحثُ بعيداً عن موقع الاستهداف لعلّي أجد شيئاً باقياً من الشهداء، كنت أوصي الشباب الذين حولي بأن ينتبهوا للمكان الذي يضعون فيه أقدامهم؛ خوفاً من أن يضعوها فوق بقايا من جثامين الشهداء.

على جانب الطريق قرب الرصيف تحديداً، وجدت قطعة من رأس أحد الشهداء فيها جزء من فروة الرأس مع الأذن اليمنى، جلست بجانبها وأخذتها بيدي، نظرت إلى قطعة الشعر الذي خلف الأذن وجدتها سوداء اللون وهذا يدلّ على أنَّها ليست للحاج المهندس ولا الحاجّ قاسم، لكن الذي أثار استغرابي هو أنَّ لون الشعر لم يكن أسودَ سواداً حقيقياً، طلبتُ ماءً من الشباب الذين يجتمعون حولي بالعشرات، وما إن وصلت قنينة الماء وسكبتها على ذلك الشعر وإذا به أبيض اللون! وما عليه من سواد إنَّما هو نتيجة الرماد المتطاير من

العجلات المحترقة. صرتُ أسكب الماء أكثر وقلبي يرتجف، نعم هو ذلك الشعر الأبيض، وهي تلك الأذن التي طالما همستُ فيها وطلبتُ ما أريده، أصبحت يدي ترتجف أكثر وقلبي يخفق، ضاق نفسي وهلّت دموعي، أريد أن أرفع رأسي وأقول للذين حولي: راح أبونا، لكن لم أستطع؛ فأنا بعد لم أصدّق هل أنتهى كلّ شيء هنا أم لا زال هناك بصيص أمل؟

صورة للأجساد المقطعة من فاجعة المطار

رفعت رأسي ـ وعيوني غارقة بالدموع بلا إرادة ـ لأخبر الشباب المجتمعين حولي: بأنَّه أملنا قد رحل، فهذا القطعة التي أحملها بيدي هي بقايا من جسد الحاج المهندس. منهم مَن صرخ بصوت كسر قلبي، وآخرون جلسوا أرضاً يصرخون ويقولون: (لا حجّي لا تروح)، ومجموعة أخرى يسألون هل فعلاً

هذا هو الحاج المهندس مقطّعاً، وذاك الحاج قاسم؟ يعني انتهى كل شيء، ولم نعد نسمع كلمة (بويه) بعد اليوم؟

انتهى كلّ شيء، وتمَّ الإعلان رسميّاً عن شهادة القائدين الشهيدين: قاسم وجمال، فانكسرت قلوب المستضعفين، وتيتّمت أيتام الشهداء مجدَّداً.

أكملت بحثي عن بقيّة الشهداء، فتعرّفت على الشهيدين: حسين جعفري ووحيد زماني المرافقين للحاج قاسم سليماني.

طلبت من الإخوة الذين معي رفع كلّ بقايا أجساد الشهداء المجهولة وجمعها في كيس واحد؛ ليتسنّى لنا لاحقاً التعرّف عليهم.

الحاج أبو فوّاز المالكي:

من المعتاد لدى الحاج قاسم سليماني أو مَن ينوب عنه هو تبليغ الإخوة في جهاز أمن الحشد الشعبي عن موعد مجيئه للعراق، وكذا تبليغ مكتب الحاج المهندس الذي بدوره يبلّغ مكتب العلاقات العامة في مطار بغداد الدولي من أجل تهيئة الوضع لاستقبال الحاج سليماني ورفاقه، في يوم ٢٠٢٠/١/٣م لم يبلّغ الحاج قاسم سليماني أيَّ جهة أمنية أو عسكرية بأنَّه قادم إلى بغداد، حتّى الإخوة المرافقين للحاج المهندس الذين رافقوه إلى مطار بغداد الدولي لم يعلموا بأنَّهم ذاهبون لاستقبال سليماني، كذلك الإخوة في مكتب العلاقات لم يبلّغهم محمّد رضا الجابري بأنَّ الحاج قاسم سليماني قادم إلى بغداد.

في الساعة ١:٠٠ بعد منتصف الليل المصادف يوم ٢٠٢٠/١/٣م وردني اتصال هاتفي من أحد الضبّاط الكبار في جهاز الرد السريع، وبعد السلام والتحيّة قال لي الضابط: جماعتك قصفوا المطار، وكان يقصد بكلمة (جماعتك) كتائب حزب الله. قلت له: وأنا مبتسم يا الله سدّد رميتهم. بعد دقيقة بعث لي عبر برنامج الواتساب تصويراً للعجلات وهي تحترق، وأثناء مشاهدة الفيديو المسجّل للحادث تعرّفت على العجلة الأولى التّي كان يقلّها المرافقون والتي استُهدفت بصاروخ واحد فقط. تابعت الصور والفيديوهات فتيقنت تماماً بأنَّ تلك العجلات هي للعلاقات العامة للحشد الشعبي.

اتصلت بأغلب الإخوة في مكتب العلاقات فكانت هواتفهم مغلقة والبعض منهم لا يجيب، خرجت مرعوباً خائفاً، قسماً بالله ارتديت بنطلوني وأنا أسير إلى عجلتي والقميص ارتديته داخل العجلة، انطلقتُ من منطقة الكرّادة إلى منطقة الخضراء المحصَّنة بسرعة حتى أني لم أقف أنتظر تدقيق هويتي للسماح لي بالدخول، بل ولم أنتبه لأصوات عناصر القوات الأمنية الذين أردوا إيقافي. انطلقتُ من الخضراء حتّى مطار بغداد الدولي سرت بسرعة ٢٢٠ كم بالساعة وربما أزيد، كنت خائفاً كما كنت أظنّ بأنَّي سأصل لإنقاذ الجرحى. لا أعلم لماذا راودني شعور بلا أيّ مقدّمات بأنَّ الحاج قاسم سليماني استشهد.

وصلت إلى موقع الحادث، ورأيت ذلك المنظر الفظيع الذي أشعرني بالرعب، نار في كلّ مكان وأشلاء مقطَّعة لا تعرف أصحابها.

هنا شاب يصرخ منادياً: محمّد، وهناك أمرأة تبحث عن فقيدها بين تلك الأجساد المقطَّعة، وشباب أخرون يحاولون إخماد الحريق بأي وسيلة متاحة.

نظرت إلى الجهة الأخرى من الطريق شاهدت الحاج أبو فدك يجلس أرضاً وهو يشرب سيكاره، لم يرد على أحد إطلاقاً كما لم يرد عليَّ أنا أيضاً.

عندما وصلت إلى هنا علمت بأنَّ محمد رضا الجابري قضى نحبه شهيداً، فتيقّنتُ تماماً بأنَّ أحد القادة مع محمّد رضا لا محال.

كنا جميعاً بأمل أن يقول لنا الدكتور علي الخفّاف: لا وجود للحاجين جمال وقاسم مع الشهداء، لكن كان أملاً فقط؛ إذ جاءه الخفّاف وقال لنا: هذا كفّ الحاج قاسم، وتلك القطعة هي جزء من جمجمة الحاج المهندس، جلستُ أرضاً وبقيتُ أبكي على فراق الأحبّة، أبكي على فراقهم لكن أشعر بالفرح لتلك الخاتمة التّي أخذت الحبيبين معاً شهداء في ليلة الجمعة مقطَّعين إرباً إرباً على أيدي أعداء الله الشيطان الأكبر.

وصل الحاج أبو ياسر الشيباني وهو يبكي على ابن شقيقة الشهيد محمّد الشيباني ابن الشهيد القائد الحاج أبو جعفر الشيباني، وعندما شاهدني أمامه صرخ في وجهي: أبو فوّاز! راح وليدي محمّد. لم أستطع أن أتمالك نفسي أمامه، احتضنته وأنا أصرخ أبو ياسر! الحاج قاسم وأبو مهدي راحوا مع محمّد، قسماً بالله جلس أرضاً ونسى محمّد وصار يلطم على رأسه ويصرخ: (يا بويه يا بويه انهبنه).

الحاج أبو ياسر الشيباني:

مساء يوم الخميس المصادف ٢٠٢٠/١/٢م كنت في محافظة كربلاء المقدَّسة لغرض الزيارة، ولمّا أتممنا الزيارة وعدنا إلى محافظة بغداد كنت متعباً جدّاً، فوضعت هاتفي صامتاً ونمت بالثياب التّي أرتديها، حتّى أنّي أتذكر لشدّة التعب لم أدخل إلى غرفتي؛ لذا نمت في الصالون.

عند الساعة ١:٣٠ بعد منتصف الليل يوم ٢٠٢٠/١/٣م استيقظت من نومي مرعوباً، لا أعرف ماذا جرى؟ رأيتُ زوجتي تقف بالقرب منّي شاحبة اللون، ووجها يشير إلى أنَّ هناك شيئاً ما قد حدث! سألتها: ماذا جرى لماذا أنتِ مرعوبة هكذا؟ قالت: لا شيء، لكن هاتفي لم يهدأ من الاتصالات وكذلك هاتفك يرنّ منذُ أكثر من ساعة، وأنا أشعر بأنَّ شيئاً ما قد حصل، لكن أخاف أن أجيب على هاتفي.

أخذت هاتفي وأنا مرعوب من كثرة الاتصالات، حيث وجدت عشرات الاتصالات، بينهم أقربائي وبينهم أصدقاء ومعارف، أتصفّح بالأسماء الذي لم أجبها، وأنا في حيرةٍ بمن أبدأ أولاً؟ بينما أنا أتصفّح الأسماء اتَّصل بي أحمد ابن أخي الأكبر مني، وما إن أجبته حتى اخترق صوت صراخه مسامعي، أردت السيطرة على نفسي فلم أستطع، أخذتني قشعريرة وأصابني الذهول، ها بابا أحمد! ما ذا حصل؟

أحمد: بابا! أخي مات.

أبو ياسر: لم أسمع كلمة أخي واضحاً، وفهمتُ أنَّه قال: (أبي). لم يمض من المكالمة حتّى دقيقة واحدة، لكن في تلك الدقيقة دارت في ذهني صور كثيرة، أحدها: قلت: إنَّ أخي أبو أحمد ذهب إلى محافظة ذي قار من أجل حضور مجلس عزاء لأحد الأقرباء، فحتماً تعرَّضوا إلى حادث سير أثناء عودتهم إلى محافظة النجف الأشرف. حاولت مجدَّداً إن أسيطر على نفسي وأسأل أحمد مرَّةً أخرى، أحمد بابا! قل لي: مَن الذي مات؟

أحمد: بابا! أخي محمّد مات.

أبو ياسر: عندما سمعت اسم محمّد لم يخطر في بالي سوى حبيبي محمّد، فأنا أعرف جيداً أنَّ أحمد يسمّي ابن عمّه محمّد بأخي. قلت له: أين مات محمّد؟

أحمد: عمّو! محمّد استشهد في مطار بغداد الدولي، قصفتهم قوات الاحتلال الأمريكي.

لم أسأل بعد مَن كان مع محمّد، ومن الجريح ومن الشهيد، استقليت عجلتي بسرعة اتجاه موقع الحادث، وبسبب السرعة المفرطة أكاد لا أرى جانبي الطريق.

وصلت إلى مطار بغداد الدولي لذلك المكان الذي لم أرَ له مثيلاً طيلة حياتي؛ قضيت أكثر من ثلثي حياتي في ساحات الجهاد، وخضت عشرات العمليات، ورأيت ما رأيت طيلت سنوات الجهاد من الشهداء، لكن لم أرَ هكذا منظر،

أجساد مقطَّعة، ونار في كلّ مكان، وماء عجلات الإطفاء امتزج مع الدم ليصبح بحيرة حمراء، لا يعرف فيها جثمان أي شهيد هذا؟

أعمدة الدخان تتصاعد من الأجساد، وأنا أسير بينهم باحثاً عن محمّد، هل أنَّ محمّداً قرب هذه العجلة، أم تلك العجلة الثانية الّتي ما زالت النار تصهر في حديدها وجثامين الشهداء معاً؟

اعلم أنَّ جميعاً شهداء وأنَّهم يسمعون صوتي، لكن بقيت في أمل أن أسمع صوت محمّد وأنا أناديه: (بويه محمّد تسمعني؟).

محمّد بابا! لا تتعبني وأنا أبحث عنك بين الشهداء، كما لا أريد إن أنتظر بين الذين ينتظرون أبنائهم مجهولين الهويّة، محمد ولدي تسمعني؟ بابا محمّد!

كأنه خبر رحيل محمد أنساني أن أسأل عن هويّة الشهداء الذين معه. وبين ما أنا أبكي بحرقة لرحيل الحبيب، ناداني الحاج أبو فوّاز المالكي وهو يسألني.

أنت على مَن تبكي؟

قلت له: (حجي محمّد راح).

قال لي: أبو ياسر! أتعلم أنَّ محمّداً راح مع الحجّاج؟

سألته عن أي حجّاج تتحدّث؟

قال لي: هذه الجثامين المقطَّعة الّتي تراها حولك هي للحاجّ المهندس والحاجّ سليماني.

جلست أرضاً ولم أستوعب الخبر بعد (أبو مهدي راح؟ وحجّي قاسم شنو جابه للعراق هسه؟).

نسيت ولدي محمّداً، وصرت أبحث عن بقايا جثامين الحاجّين الحبيبين أبو مهدي والحاج قاسم؛ فخبر رحيلهما معاً أنساني مصيبتي وخفّف عني صدمة الفراق لمحمّد.

وأنا أبحث مع الذين يبحثون عن جثامين الشهداء، تذكّرت قول الحاجّين المهندس وسليماني: «لا تقلقوا على محمّد فهو معنا، وهو أمانة أبيه الشهيد القائد الذي أوصانا به قبل أن يرحل، سنهتم بمحمّد كثيراً، وسيكون معنا حيث نكون».

فعلاً كانوا أهلاً لذلك الوعد؛ إذ لم يرحلوا من هذه الدنيا إلاّ ومحمّد معهم مقطَّعاً مثلهم؛ لتختلط دماؤهم معاً.

علي الخفّاف:

خمدت النار وبانت الأجساد المتفحّمة، فلا نعرف جسد من هذا وبقايا من ذاك؟

وبين ما نحن نبحث حول مكان الاستهداف، عثر الشباب على قدم لأحد الشهداء وكانت القدم اليسرى، ذهبت لأتعرّف عليها فوجدتها لم يبقَ منها شيء يمكننا من خلاله الوصول إلى صاحبها، وكأنها نزع منها كلّ شيء، أخذتها وقلبتها ولم أطل عليهم بالإجابة، فأخبرتهم سريعاً هذه هي قدم الحاج

المهندس، فأنا أعرفها جيداً، طول العمليات العسكرية كان الحاجّ المهندس، يشتكي من ألم المفاصل، وأحياناً نضطر إلى معالجته بالعلاج الطبيعي. وبحكم عملي كطبيب كنت أشاهد قدميه كثيراً؛ لذلك حين أخذتها بيدي سريعاً ما تذكرتها، حملتها على صدري وكأني آخذ طفلاً بأحضاني وعبرت الطريق لأضعها بجانب يد حجّي قاسم، أنظر إلى الأجساد المقطَّعة وأحدّث نفسي هل فعلاً انتهى كلّ شيء؟ أو أنا في حلم، وهذا الليل سينجلي بعد قليل، وعند شروق الشمس سأرى الحاج المهندس على سجّادة صلاته مجدّداً، أين أنا الآن في طف كربلاء؟ أو فجر المطار أصبح طفنا الجديد؟

ربما أكون أنا أكثر شخص متوقّع لشهادة الحاج المهندس والحاج قاسم، لكن لم أتوقّع في يومٍ ما، أنا من أجمع أجسادهم المقطَّعة ومن قارعة الطريق!

كلّما رفعت رأسي أشاهد والد الشهيد محمّد رضا الجابري يجلس قرب الكيس الذي يضم فيه بقايا ولده البكر، أنكسر حتّى أشعر بأنَّي منهار؛ لكن أحاول أن أبقى صامداً أمامه، فهو رجل كبير السن لا يتحمّل ما أراه الآن من صور للأجساد المقطَّعة، ونحن في هذا المنظر وتلك الصور المؤلمة يترك ولده مطروحاً على قارعة الطريق ويقوم من مكانه ليسألني: بابا علي! هل وجدتم شيئاً من جثامين أبو مهدي والحاج قاسم، أو تقطَّعوا مثل ولدي محمّد رضا؟ ألوذ بالصمت؛ لأنَّي أشعر بالعجز ماذا أقول له؛ والرجل قد فقد فلذة كبده،

صرت أُصبّر نفسي أمام والد محمّد رضا، حتّى كأني أستنشق صبري من صبره؛ لأكمل بحثي عن رفاقي الشهداء.

الدكتور عادل عبد المهدي:

أنا لم أكن أدري أنَّهم يخطّطون لعملية الاغتيال، العملية لم تخطّط بيوم أو يومين، بل بفترة ليست قصيرة، حين انتهت المكالمة مع ترامب، كان هناك اتفاق أن يأتي الشهيد سليماني للعراق لأجل التباحث.

في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل يوم ٢٠٢٠/١/٣م اتصل بي مصطفى الكاظمي شخصياً، وأخبرني هناك قصف طال عجلات مدنية لكن لم يشخّص بعد مَن فيها، صارت الأخبار متضاربة، كنت على علم بقدوم الحاج سليماني، وكنّا على موعد صباح يوم ١/٣ في القصر لنتناول الإفطار معاً، اتصلت على

السفارة الإيرانية لأفهم الأمر، فلم يكن لديهم أيضاً المعرفة الكافية بالتفاصيل، استمرَّ وصول صور الاستهداف، وكان من بين الصور صورة فيها خاتم، أنا مباشرة شخّصت أنَّ هذا الخاتم للشهيد سليماني.

السيد كاظم الجابري:

وإنا جالساً قرب جثمان ولدي سمعت صوت أحد الشباب يقول: هذا كفّ الحاج قاسم، سألت ولدي هادي بابا منو الحاج قاسم؟

قال هادي: بابا! محمّد استشهد مع الحاج المهندس والحاج قاسم سليماني في هذه العجلة التّي تراها الآن أمامك! وهذا الدم الذي حولك والأجساد المقطَّعة هي للحاج المهندس والحاج قاسم.

تركت جثمان محمّد رضا ملقىً على قارعة الطريق، وقمت أبحث مع الشباب الذين يبحثون مع الدكتور علي الخفّاف عمّا تبقى من جثامين القادة، كنت منكسراً على فراق ولدي محمّد، لكن عندما سمعت بشهادة الحاج المهندس والحاج قاسم، شعرت بالقوة وتركت محمّداً وشأنه، فمهما كان محمّد عزيز وجرحى به لا ينسى، لكن لم يكن على قدر جرحنا بشهادة القادة.

رحل محمّد رضا ورحلت معه كلّ أحلامي، شعرت بأنَّي قد كبرت ألف عام لرحيل حبيبي ولدي البكر!!

أبو ياسر الشيباني:

وأنا أسير بين الشهداء أتحدّث مع محمّد، بابا محمّد! لا أريد إن أنتظر الفحوصات الطبّية حتّى أتعرّف على جثمانك، محمّد ولدي! أريد أن أعرفك الآن؛ حتى آخذك بأحضاني ونذهب معاً.

وأنا أتحدّث مع جثامين الشهداء، جاءني الدكتور علي الخفّاف وقال لي: إنَّ هذا الخاتم وجد بيد السائق الذي يقود العجلة التي تقلُّ الحاجّين المهندس و سليماني، وكان جثّة السائق متفحّمة بالكامل، ولم يبقَ من جسده الطاهر سوى كفّه الذي بقي متفحّماً على مقود العجلة، وقطع من جسده متفحّمة هي الأخرى.

أخرج الكيس الذي فيه الخاتم، وما إن أخرجه أمامي ورأيت الخاتم حتى أخذته وكأنّي أشمّ فيه عطر ولدي محمّد. نعم، هو الخاتم الذي أخذه منّي محمّد قبل ستّة أيام. أخذت الخاتم وكفّ محمّد وما تبقّى من جسده المتفحّم وأنا في حالةٍ يرثى لها.

رحل محمّد شهيداً مقطَّعاً إرباً إرباً على يد قوات الاحتلال الأمريكي التّي اغتالت والده الشهيد القائد الحاج أبو جعفر الشيباني من قبل.

والدة محمّد الشيباني:

كنت أسكن أنا وبعض أولادي في مدينة طهران، في الساعة ٢:٠٠ صباحاً من فجر يوم ٢٠٢٠/١/٣م اتّصلت بي أبنتي أمّ علي وكان صوتها يرتجف، قلت لها: ها ماما! خير هل حصل شيءٌ ما، لماذا أنت خائفة؟

قالت: لا شيء، لكن تعالي لنا الآن.

أقسمت عليها بدم والدها الشهيد أن تتحدّث لي ماذا حصل؟

قالت: ماما! أخي محمّد نال وسام الشهادة مع الحاج قاسم سليماني والحاج أبو مهدي المهندس.

جلست أرضاً وشعرتُ بأنَّ قلبي توقّف بالكامل وثقل لساني كثيراً، وصعب الكلام عليَّ؛ فأنا مريضة بالقلب، وقد هدّني هذا الخبر.

وصلت لي ابنتي أمّ علي برفقة زوجها مازن، وصارا يصبّران عليَّ، لكن ما زلت كأني في حلم، هل حقّاً رحل ولدي شهيداً؟ كيف استشهد وقد قال لي: ماما! بعد أيام سأكون معكم؟ أين أصيب وماذا تحدّث قبل الشهادة؟

بقيت على هذه الحال أسأل وأسأل حتى طلع الفجر، اتصلت بالأخوة هنا في مكتب الحاج المهندس، قالوا: انتظروا حتّى نذهب نحن إلى بغداد وبعدها نخبركم ماذا تفعلون. لم أنتظر كما هم يريدون، فأنا أريد إن أدرك جثمان ولدي وآخذه في أحضاني.

فوراً اتصلت بمكتب الحاج قاسم سليماني؛ فقد قال لي ذات يوم: إذا لم أكن موجوداً ولم تستطيعوا الاتصال بي اتصلوا بمكتبي واطلبوا منهم ما تشاءون، فهذا المكتب لخدمة عوائل الشهداء.

أجاب الأخوة في مكتب الحاج سليماني، وطلبت منهم تذكرة سريعة إلى مطار النجف الأشرف أو بغداد.

مع انشغالهم بشهادة قائدهم ورفاقهم المرافقين للحاج قاسم سليماني، لم يعتذروا من خدمة عوائل الشهداء، وبغضون ساعات حجزوا لي التذكرة إلى مطار النجف الأشرف، وصلت التذكرة مع سائق عجلة خاصه مكلّف بنقلي حتّى مطار طهران الدولي.

مهنّد العقابي:

أصبحت الأخبار سريعة الانتشار، وفي كلّ دقيقة يأتينا خبر يختلف عن الذي قبله، اتصلت بأحد الأخوة في دار الحاج المهندس، وسألته عن الحاجّ، قال لي: إنّه لا يعلم أين هو! فسألته يعني الحاجّ خارج الدار؟ قال: نعم، ولا أحد يدري أين هو الآن، قلت له: هاتفه يرنّ؟ قال: نعم يرنّ في غرفته الشخصية وهو غير موجود.

اتصل بي الأخ حيدر مرافق الحاج فالح الفيّاض وقال لي: الحاج الفيّاض تعبان جدّاً من الأخبار التي يسمعها ويريد يعرف ماذا جرى في مطار بغداد الدولي؟ قلت له: أنا لا أعلم شيئاً، وكل الأخبار الذي نسمعها هي غير مؤكدة حتى الآن. اتصلت بالشيخ علي الزيدي معاون مدير الأمن في الحشد الشعبي وسألته عن الأخبار ما هي؟ فقال لي: بأنَّه ذاهب إلى مكان الحادث، فسألته هل من شيء جديد؟ قال لي: بأنَّ الأخوة الموجودين في دار الحاج المهندس أخبروه بأنَّ الحاجَّ المهندس خرج برفقة أ ـ ح.

اتصل بي أحد الأخوة المرافقين وقال لي: إنَّ الحاج المهندس برفقة الأخ ض ـ ا، و ض هو المرافق الأقدم للحاج المهندس، ونتوقّع أنَّ الحاج المهندس معه في أحد المواقع الأمنية البديلة للحاج المهندس.

اتصلت بالشيخ علي الزيدي مرَّةً أخرى فأكّد لي بإنَّ الحاج قاسم سليماني نال وسام الشهادة، وهناك أثار تدل على وجوده مع السيّد محمّد رضا الجابري في العجلة التّي كان يستقلّها الجابري.

لم أصدّق بأنَّ الحاج قاسم سليماني قضى نحبه شهيداً.

جلست أبكي لفراق ذلك الضيف الجميل العزيز، الضيف الذي وقف معنا في أشدّ وأصعب الظروف.

ماذا سيفعل غداً الحاج المهندس حين يستيقظ ويعلم بإنَّ رفيق الروح رحل شهيداً؟

أبكي لفراق سليماني، كما أبكي على الحاج المهندس المريض الذي سيعلم غداً برحيل خليله.

اتصلت بالدكتور علي الخفّاف وقلت له: هل حقّاً هذه اليد التّي عثرت عليها هي يد الحاج قاسم سليماني؟ قال: نعم يا مهنّد هذه يده، والآن أحمل بيدي قدم الحاج المهندس.

غلقتُ الهاتف فوراً، وأنا أتحدّث مع نفسي، دكتور علي يقصد قدم الحاجّ قاسم سليماني، وليس الحاجّ المهندس.

كنت أتابع كلّ أخبار الوكالات الأجنبية والمحلّية وأكتب فيها التطوّرات الأخيرة، لكن تجاهلت قراءة خبر قناة الميادين التي كتبت استشهد نائب رئيس هيئة الحشد الشعبي الحاج أبو مهدي المهندس، حاولت أن لا أصدّق كلّ تلك الأخبار، كما لا أريد الاتصال بأيّ شخصٍ آخر؛ خوفاً من أن يتأكّد لي رحيل الحبيب.

لا أريد أن أسمع خبر رحيل الحاج المهندس، ولا أريد أن أتأكّد، عشت وحدةً عجيبةً، لا يعلمها إلاّ الله تعالى.

زينب سليماني:

عندما أتذكر تلك الأحداث والساعات أتعب كثيراً، تلك الليلة لم أستطع التنفّس، كانت لدي علاقة خاصة بوالدي، كذلك مع أخي وأختي، كان والدنا كلّ شيء في حياتنا، وكان يعني لنا كلّ شيء: الأب، الصديق، المستشار، المعلّم. لا أدري ماذا أقول عن تلك الليلة، من دون أن أعجز عن التعبير، هو قال لي في أخر اتصال لا تحزني! إن شاء الله سأعود ونذهب معاً إلى مشهد، هو عاد فعلاً و ذهب إلى مشهد لكن ذهب شهيداً، و أنا لم تُكتب لي السعادة بأن أكون معه.

سافر والدي قبل استشهاده بحوالي عشرين يوم، وكانت ظروف سفره صعبه جدّاً، حتّى أنني كنت أراهِ متعباً ومرهقاً.

كان والدي شديد التعلق بالشهيد أبو مهدي المهندس؛ لذلك اختلطت دماؤهم معاً، وبرأيي هذه مشيئة الله بأن يستشهدا معاً، حتّى يختلط الدمّان معاً، ويتحقّقان اتحاداً قويّاً لا ينفك بين الشعبين العراقي والإيراني.

علي الخفّاف:

الحاجّ المهندس مع أربعة من مرافقيه تعرّفنا على أثنين منهم فقط، والحاجّ قاسم وأربعة من مرافقيه تعرّفنا على أثنين منهم فقط، كان جميع الشهداء عشرة، أربع شهداء تعرّفنا عليهم وعرفنا أجسادهم في ساعة الحادث، والستّه الأخرون لم نستطع التعرّف عليهم.

لم نجد شيئاً من جثمان محمّد الشيباني سوى كفّه المقطوعة المتفحّمة على مقود العجلة، وبقايا من أحشائه المتفحمة.

في تمام الساعة ٤:٠٠ من فجر يوم ٢٠٢٠/١/٣م أكملت رفع رفات جميع الشهداء، ليتم نقلهم إلى مطار المثنّى لإبقائهم في ثلاجة الموتى.

كنت أخشى أن أفقد جثامين الشهداء أو يتعرّضون للاعتداء مجدّداً، أمريكا وحلفائها وحتى عملائها لا يحترمون أيَّ حرمة حتى حرمة الأموات، كذلك شعرت بالغربة وأنا أسير بمفردي مع جثامين الشهداء.

ما إن وصلت مطار المثنّى وسلّمت جثامين الشهداء، طلبت من الإخوة في مديرية أمن الحشد الشعبي أن ترسل قوة عسكرية لحماية الجثامين، كما يمنع أي شخص من دخول ثلاجة الموتى، حتّى وإن كان من محبّي الشهداء.

منار المهندس(١):

كنت أقول له: بابا! عندما يكون عمرك ٨٠ عاماً استشهد، أمّا الآن فلا! كان يبتسم ويقول: نعم بابا، حتّى يكون كلّ جزء من جسدي في جهة.

في تلك الليلة الكل نائم. شرطت عليهم، أن يطفوا التلفاز ويناموا. كلّنا خلدنا للنوم إلاّ أختي الصغيرة بقيت مستيقظة حتّى الساعة ٥:٠٠ صباحاً، سألتها عن سبب بقائها إلى الآن مستيقظة؟ قالت: لا شيء، لكن لم يأتني نوم حتّى الآن. لم تسمع أيّ أخبر لكنّها كانت غير مرتاحة.

---

(١) النص مقتبس من لقاء اجرته قناة الميادين الفضائية.

جلست أستعد لصلاة الفجر، انتبهت لهاتفي فوجدتُ فيه عشرات الإشعارات من تطبيقات الأخبار، كان الحاجّ المهندس والحاجّ سليماني ذكرا في هذه الأخبار كثيراً، لكن لم أنتبه لشيء، بعدها قرأت الأخبار سريعاً، فقلت: ربما أنا مرتبكة، ذهبتُ لأخبار أخرى، فقرأت عشرات الأخبار التي تتحدّث عن استشهاد الحاجّ المهندس والحاج سليماني معاً، لم أشكّ في صحة هذه الأخبار إطلاقاً؛ لأنَّا اعتدنا على هكذا أخبار، وكان والدنا ـ عندما تحصل مثل هكذا أخبار ـ يتّصل علينا ويقول: أنا بخير لا تقلقوا عندما تسمعون أيَّ أخبار أخرى؛ ولمّا لم يتّصل تيقنت أنَّ والدي نال وسام الشهادة.

شعرت بشعور لا يوصف، شعرت نفسي كأنَّي كنت في خيمة دافئة، وفجأة رفعت هذه الخيمة.

كنت جالسه وحدي، قلت: لا أخبرهم الآن، ولمّا يستفيضوا لصلاة الفجر أخبرهم. استيقظت ماما أوّلاً، ومن نبرة صوتي شعرت بأنَّ هناك أمراً ما. فقالت: هل حصل شيء؟ قلت له: لا ماما. لكن حان وقت الصلاة، فسألتني: بابا استشهد؟ قلت لها: نعم ماما، بابا والحاجّ قاسم استشهدا معاً.

حتّى أختي الثانية عندما قلت لها: قومي للصلاة، قالت: بابا استشهد؟

لأوّل مرّة بحياتي، لأول مرَّة وأنا أجزم لكم أحسست بعزّة ما بعدها عزّة، وبأعلى درجاتها. وشعرت بحزن ما بعده حزن ولأوّل مرَّة، فالكفتان متعادلة.

صابرين الموسوي:

رافقت جثمان حسن بعجلة الإسعاف وطول الطريق أتحدَّث عن ذلك اليوم الذي قضيناه معاً حتّى الشهادة.

كنت بأمل أن يكون كلّ الذي أره الآن كابوس، وأنَّ حسن سيتصل بعد قليل ليخبرني أنَّه وصل إلى باب الدار كي أفتح له الباب؛ لكن لم يكن حلم، وحسن رحل شهيداً، وها نحن وصلنا إلى مطار المثنّى العسكري حيث ثلاجة الموتى.

لم يمض على زواجنا حتّى عام واحد، لم نحتفل بعد بعيد زواجنا الأوّل، كنت أحسب كلّ يوم لتاريخ زواجنا المصادف ٢٠١٩/٤/٥م كي نحتفل معاً بعامنا الأوّل، لكن شاء الله أن يصل تاريخ الشهادة قبل الزواج. انطفأ عمر حسن قبل أن نطفئ شمعتنا الأولى معاً.

قسماً بتلك الشهادة التّي أخذت منّي حبيبي مقطَّعاً إرباً إرباً، أشعر وكأنَّي عشت دهراً مع حسن، لم يغب من خيالي يوماً واحداً، لم أنسه لحظة واحدة، تسعة أشهر فقط عشنا معاً، لكن قسماً بنور وجه الحبيب لم أقم بإعداد أي طعام إلاّ من الطعام الذي كان حسن يحبّه، أطبخ كلّ الأكلات التّي كان يحبّها وأقوم بتوزيعها على حبّه للفقراء.

كم أنا حزينة الآن على فراق حبيبي حسن، لكن والله أشعر بالفخر والفرح حين أتذكّر أنَّه استشهد مع من يحب.

كثيراً ما كان يحدّثني عن حبّه للحاجّ المهندس والحاجّ قاسم سليماني، وأنا على يقين بإنَّ الله يحبّ حسن الجريح المقاوم الذي جرح دفاعاً عن السيّدة زينب عليها السلام؛ لذلك رزقه الله تعالى بتلك الشهادة التّي اختلط دمه بدم أعظم قائدين على مرّ التاريخ الحديث.

والدة علي حيدر:

الساعة ٢:٠٠ صباحاً ذهب ولدي الصغير حسام برفقة عمّه إلى مطار المثنّى كي يتعرفوا على علي إن كان بين الشهداء أو لا.

بقيت أنتظر خلف الباب وأنا أحدّث نفسي بنفسي: هل يعقل استشهد علي، كيف أستشهد وهو مريض؟ كذلك قال لي: أنّه سيكون معنا يوم السبت هل حقّاً استشهد؟ كنت على أمل أن يأتي خبر يطفئ نار قلبي الملتهب. فُتح الباب وما إن فُتح حتى وقعت عيناي على ولدي حسام وهو يتكئ على عمّه ويصيح: ماما! علي استشهد، ماما علي راح. لم أستطع الوقوف ولكنّي ما زلت أعيش أمل أنَّ حساماً قد اشتبه بين أخيه وبين شهيدٍ آخر، فسألتُه مجدّداً: حسام ماما! أنت متأكد أنَّ الذي رأيته هو أخوك علي؟ نعم ماما نعم، هو علي رأيتُه مقطَّعاً ونصف من جسده متفحّم.

وكيف عرفت أنّه هو علي أخوك؟

ماما! أنا أعرف جسد أخي جيداً، ووجدت هويّته العسكرية ما زالت متبقّية في ثيابه.

أمّ حسام: وقعت أرضاً وأنا أحتضن ولدي حساماً الذي ما زالت آثار دم أخيه علي على ثيابه.

طلب عم علي منّي مرافقته حتّى ثلاجة الموتى في مطار المثنّى؛ كي أتأكد من أنَّه استشهد، لكنّي لم أوافق؛ إذ كيف تطاوعني نفسي وتحملني أقدامي وأذهب لأرى ولدي ـ الذي وجهه كوردة الصباح ـ متقطّعاً متفحّماً؟!

سألت ولدي حساماً مجدّداً عمّا تبقى من جثمان أخيه علي، فقال لي: ماما! عليّ مقطَّعاً كعلي الأكبر في طفّ كربلاء!!

شعرت كأني في الطف، وتذكّرت السيّدة زينب عليها السلام وفقدانها لأولادها وابن أخيها عليّ الأكبر، وأنَّ مصيبتي لا شيء بالنسبة لمصائب أمّ المصائب وكعبة الرزايا؛ فأنا لم أفقد سوى ولدي فقط، وزينب عليها السلام لم يبقَ لها من حماتها حمي، كلّهم صرعى على طفّ كربلاء!!

شرقت الشمس مع وصول جثمان ولدي الملفوف بالعَلَم العراقي، وكأنَّه العَلَم نفسه الذي لفّوا به ولدي في عالم الرؤيا، ووضعوا النعش في المكان عينه الذي رأيته في منامي، وكأنَّ الرؤيا تحقّقت بكل تفاصيلها، تمنيت أن يكون هذا الذي أراه من المنامات أيضاً، ويعود علي إلى أحضاني مجدَّداً!

انحنى أبو علي على نعش ولده وهو يصرخ بصوت عال: (بويه علي، فز بويه) أنت قلت لنا: سأكون السبت معكم، لكنّك لم تقل لنا ستكون شهيداً، ولدي

علي لا أستطيع أن أنحني عليك كثيراً، فانهض أنت معي، ولدي علي هذه المرَّة الأولى التّي أناديك فيها ولم تجبني.

علي الخفّاف:

اتصلت بوزير الصحة وطلبت منه إرسال كادراً متخصّصاً بفحص DNA استجاب الوزير سريعاً إلى طلبي، وخلال ساعة وصل الكادر الطبّي المختص وباشر بأخذ العينات.

طيلة هذا الوقت لم يتّصل فينا أي سياسي على الإطلاق، ولم يزرنا أحدٌ إلى موقع مطار المثنّى سوى الحاج عبد الحسين عبطان وزير الشباب والرياضة سابقاً.

اتصلت بالأخ مهنّد العقابي فهو الوحيد الذي بقي على اتصال معي، وما زال هاتفه مفتوحاً حتّى الآن، وقلت له: ماذا نفعل نحن بمفردنا؟ الجميع غلفوا هواتفهم ماذا أفعل؟ قال لي: اذهب إلى بيت الحاج المهندس الكائن في منطقة الخضراء، وهناك نتحدّث ماذا سنفعل.

مهنّد العقابي:

اتّصل بي الدكتور علي الخفّاف، وطلب منّي أن نلتقي في دار الحاج المهندس.

ذهبت للدار وكلّي أمل أن يقول لي ما لا يستطيع قوله عبر الهاتف؛ خوفاً من متابعة قوات الاحتلال للحاج المهندس! لكن حتّى ذلك الأمل ذهب سدى، فما

إن وصلت دار الحاج المهندس حتّى اقتنعت تماماً بأنَّ كلّ شيء أصبح حقيقة، والحاج المهندس ذهب مع ضيفه لضيافة الرَّحمن.

علي الخفّاف:

وصلنا أنا والحاج مهنّد إلى عتبة الدار معاً، وأقدامنا تتعثّر، كيف سنطرق باب الدار ونحن نعلم بأنَّ صاحبها لم يعد موجوداً؟ سقطت دموعنا مع خطوات أقدامنا المتعثّرة، واختنقنا بالعبرات، وتكسّرت في صدورنا الحسرات!

كانت من أصعب اللحظات التي مررت بها بعد جمعي لجسد الحاج المهندس مقطَّعاً، هي دخولنا إلى داره التي لم نعد نراه فيها بعد اليوم.

نسير أنا والحاجّ مهنّد وسط الدار بمفردنا، وما زال فيها كلّ شيء يدلُّ على حياة الحاجّ المهندس الذي غادرها قبل ساعات.

هنا كان يصلّي الحاجّ المهندس، وهناك نلتقي ونتحدّث، وعلى هذه الطاولة تناولنا الطعام معاً، وهنا كان يمازحنا، بحثنا عن مكانٍ لا نرى في أثراً للحاج المهندس فلم نجد؛ فأثره باق على كلّ شيء.

أطلب من مهنّد الكفّ عن البكاء، وما إن يسكت، حتى نتذكّر موقفاً للحاج المهندس فنعود إلى البكاء مجدَّداً.

قلت للعقابي: أنا وأنت بمفردنا، والشهداء أمانه لدينا، علينا أن نفكّر بشيءٍ حتّى نستطيع أن نقدّمه غداً. استعاد مهند قواه وعاد هو الحاج مهنّد الذي كان يعتمد عليه الحاج المهندس كثيراً.

تبنّى الحاجّ مهنّد كلّ شيء، وأصبحنا نجري الاتصالات تحضيراً ليوم غد السبت المصادف ٢٠٢٠/١/٤م الذي سيكون يوم تشييع الشهداء.

اتفقنا على أن يكون التشييع الرسمي الذي سيحضره رئيس الوزراء الدكتور عادل عبد المهدي داخل الخضراء، ثمّ التشييع الجماهيري في منطقة الجادرية، بعدها يؤخذ الشهيد قاسم سليماني ومرافقيه الأربعة للجمهورية الإسلامية ومعهم جثمان الحاج المهندس حتّى يتم إكمال فحص DNA هناك؛ لأنَّ عائلة الحاج المهندس تسكن في طهران، بعدها اقترحت على الحاجّ مهنّد أن نأخذ الشهداء لزيارة الإمامين الكاظمين عليهما السلام.

فقال الحاجّ مهنّد: أخشى أن يحدث معنا أمرٌ لم نكن نتوقّعه، ولا نستطيع إدراكه فنحن بمفردنا!

الخفّاف: اتصلت بالدكتور حيدر الشمّري، أمين عام العتبة الكاظمية وأخبرته بالأمر، فقال لي: إنّه سيتكفّل بكلّ شيء.

الحاج مهنّد: التشييع الرسمي سيكون عند الساعة ١٠:٠٠ صباحاً، فمتى نذهب إلى الكاظمية؟

الخفّاف: عند الساعة ٦:٠٠ صباحاً نذهب أنا وأنت برفقة الشهداء بعجلات حرس الشرف، دكتور حيدر أخبرني أنّه سيغلق العتبة لنا فقط، حتّى لا يحدث أي طارئ لا سامح الله.

والدة محمّد الشيباني:

عند الساعة ٨:٠٠ مساءاً وصلتُ إلى مطار النجف الأشرف يوم ٢٠٢٠/١/٣م، وما إن وصلت النجف الأشرف حتى ذهبت إلى بغداد حيث جثمان ولدي الحبيب محمّد، ولمّا وصلتُ للجثمان لم يسمحوا لي أن أفتح ذلك الكيس الأسود الذي ضمَّ خلف سواده وردتي الحمراء ذات العطر الجميل!

قالوا لي: لا تفتحي الكيس ولا ترين ولدك أفضل لكِ، ابقِ محتفظة بتلك الصورة التي فارقتي فيها ولدك؛ فمحمّد مقطَّعاً إرباً إرباً، وبلا رأس.

استجبتُ لهم، فلم أرَ ولدي في الكيس، وبقيتُ أحتفظ بتلك الصورة التّي عانقني فيها.

كم كنت حزينة وأتألّم على فراق ولدي محمّد، لكنَّني عندما سمعت أنّه نال وسام الشهادة مع الحاجّين سليماني والمهندس، فرحتُ كثيراً وقلت لهم: إنَّ ولدي نال وسام الشهادة، كما أراد والده الشهيد.

محمّد اختلط دمه الطاهر مع الدماء الزاكية للحاجّ قاسم سليماني والحاجّ أبي مهدي المهندس.

عندما انتهينا من مجلس العزاء قالت لي ابنتي أمُّ علي: إنَّ محمّداً كتب لكِ بالوصيّة أن تكوني لنا أمّاً وأباً، كما أوصاكِ بعدم البكاء عليه.

فقلت لا بنتي أمّ علي: وأنا سأخبرك بأمرٍ لم أخبر به أحداً إلى هذه اللحظة، حين أردت التوقيع على الرسالة ـ التّي أخذ فيها محمّد منّي الموافقة للجهاد في سوريا ـ نزل نور على ذلك التوقيع، وأنا كنت أظنّها روح والده.

فسألت ولدي محمّداً بنيّ هل رأيتَ ما رأيتُ أنا؟

قال: نعم.

كانت إحدى بناتي بالقرب منّي، وقبل أسألها قالت لي: ماما! أنا رأيت نوراً نزل على الاسم والتوقيع.

فأخبرتهم أن لا يخبروا أحداً بذلك.

حتماً أنَّ هذا النور هو نور ذلك الطريق الذي اختاره محمّد والذي انتهى به إلى الشهادة في سبيل الله تعالى.

دفنت حبيبي ولدي وقرّة عيني قرب قبر حبيبه وقائدة الشهيد القائد أبي مهدي المهندس في مقبرة وإدي السلام.

عدتُ بمفردي إلى طهران، وتركت ولدي في النجف الأشرف.

كلّ يوم أعيش بأمل أنَّ ولدي لم يمت بعد، وأنَّ الأيام الّتي مضت عليَّ كانت رؤية، وسيرن هاتفي ويكون المتّصل ولد محمّد.

أقول (أنا المؤلّف):

لأكثر من ثلاث ساعات، وأنا أستمع لتلك ألام التي فُجع قلبُها برحيل ولدها محمّد الشيباني ذو ٢٦ ربيعاً، الذي استوقفني طيلة ذلك الحديث المليء بالألم والحزن، هو السباق بين الحاجّين (قاسم وجمال) على من يحظى بخدمة عوائل الشهداء أوّلاً، كنت أستمع لأمّ محمّد، وهي تقصُّ لي ما كتبتُه آنفاً على لسانها عن الحاجّ قاسم والحاجّ المهندس، وكيف كانوا يتسارعون لتلك الخدمة، الخدمة التي ـ وللأسف ـ ضيّعها الكثير ولم نرها اليوم لدى الكثير من قادتنا الأعزّاء الذين يسيرون على نهج الحاجّين سليماني والمهندس!!

العمق الحقيقي للمقاومة، هم عوائل الشهداء، فإن تخلّينا عنهم، خسرنا عمقنا، وحين نخسر عمق المقاومة لا تبقى للمقاومة باقية، وكانت وصيّة الشهيدين وسيرتهم العملية قائمة على الاهتمام بعوائل الشهداء بالدرجة الأولى، بل كلّ خطابهم وتوصياتهم في هذا المجال.

اغتالوا النصر:

منذُ أن عرفت أمريكا في العالم، عرفت بغدرها للشعوب عموماً والإسلامية على نحو الخصوص، كذلك عرفت بعملياتها الإجرامية الغادرة التّي طالت رموز المقاومة الإسلامية، أمثال الشيخ راغب حرب، والسيد عبّاس الموسوي، والشيخ أحمد ياسين، والحاج عماد مغنية، والحاج أبو منتظر المحمداوي، وبالإجرام عينه اغتالت قادة النصر العظيم، الذين هزموا أمريكا ومخطّطاتها بمشروع داعش التكفيري.

لم تستطع أمريكا بغرورها وعنجهيتها وقوّتها التي تدّعيها ومكرها الذي تُعرف به من مواجهة الحاج المهندس والحاج قاسم سليماني ميدانياً، بل هُزمت على أيديهم في كلّ الميادين، من جنوب لبنان، حتّى سوريا، وانتهاءً بالعراق واليمن؛ لذلك لم يبق أمام أمريكا سوى الرجوع

إلى عمليات الغدر بواسطة الطائرات المسيّرة؛ لتوهم العالم بنصرها الجبان!!

نفّذت قوات الاحتلال الأمريكي جريمتها النكراء على الشهيدين القائدين الحاجّين أبي مهدي المهندس وقاسم سليماني في مطار بغداد الدولي، وتحديداً أثناء خروجهما من المطار. وفي الساعة ١٢:٣٧ بعد منتصف الليل، المصادف ٣ / ١/ ٢٠٢٠م تمّت عملية الاغتيال بواسطة عملائهم على الأرض، وطائرتهم المسيّرة:

(إم كيو-٩ ريبر / MQ-9 Reaper) التّي تحلّق في سماء بغداد.

صورة للطائرة المسيرة التي نفذت فيها عملية اغتيال قادة النصر

السماء التّي لا تستطيع الحكومة العراقية السيطرة عليها، وكأنّها سماء واشنطن لا بغداد، حيث قصفت قوات الاحتلال الأمريكي أوّلاً العجلة الثانية التّي يقلّهما الحاجّان سليماني والمهندس والتي يقودها محمّد

الشيباني، ويجلس في مقدّمتها محمّد رضا الجابري، وهي من نوع تويوتا أفالون سوداء اللون، المرقّمة(٢٠٥٦٦ ف بغداد خصوصي)، تمّت إصابة العجلة من أعلى اليمين بواسطة الصاروخ:

(الأي جي أم-١١٤ هيلفاير AGM-114 Hellfire) وهو صاروخ موجّه، من الممكن إطلاقه من عدّة منصّات لإصابة أنواع مختلفة من الأهداف.

صورة للصاروخ الذي استهدف قادة النصر والمبينة تفاصيله ادناه

وهناك طرازات من الصاروخ مختلفة، وتستخدم أوّل ثلاث أجيال من الصاروخ التوجيه بالليزر لإصابة الهدف، حيث إن الصاروخ يتبع ليزر يتم تنويره من طائرة أو من قبل موجّه (على الأرض) على الهدف، وزن الصاروخ الواحد ٥٠ كغ، بطول ١٧٨سم، بقطر ١٧،٨.

وبعد ١٠٠ متر من مسيرها وخروجها من الطريق العام، تمَّ قصفها بصاروخ آخر أصابها من أعلى اليسار، ثمّ قصفت المسيّرةُ العجلةَ الأولى التّي يقودها علي

حيدر، ويجلس في مقدّمتها حسن مقاومة، كما وتظمّ أربعة من مرافقي الحاج قاسم سليماني وهم: (هادي طارمي، شهروز مظفّري، وحيد زماني، حسين بور جعفري)، وهي من نوع هونداي ستاركس، المرقّمة (٢٠٩٢١ بغداد أجرة وتمَّ إصابتها من أعلى اليمين بعد ١٢٠ متر من العجلة الثانية).

تـمَّ قصـف العجلتـين داخـل مطـار بغـداد الـدولي، تحديـداً بالإحداثيـة التالية: (33152905N-44152157E).

وكانت النتيجة أنَّ الطائرة المسيّرة استهدفت عجلةَ الحاجّين المهندس وسليماني بصاروخين، واستهدفت عجلة المرافقين بصاروخ واحد، ولم تكتفِ قوات الاحتلال الأمريكي من قصف العجلة التّي يقلّها الحاجّان المهندس وسليماني بصاروخين وحسب، بل باشرت طائراتهم المروحية بتمشيط العجلة التّي دُمّرت بالكامل بسلاح رشّاش عيار ١٤،٥ ملم.

تتميز هذه الطائرة المسيّرة التّي نفّذت الهدف بقدرات عالية جدّاً، هذه الطائرة الملقّبة بـ(الحاصدة) تمتلك القدرة على التحليق لعلو يصل إلى ٥٠ ألف قدم، فضلاً عن كونها طائرة مسلّحة متعدّدة المهام، ومتوسطة الارتفاع، وقوية التحمّل، تزن أكثر من طنّين، ويتمّ التحكّم فيها عن بعد، وصُمّمت بالأساس لتنفيذ ضربات هجومية.

لها قدرة فريدة على تنفيذ الهجمات ضدَّ أهداف حسّاسة في لحظات وجيزة، كما يمكنها أن تنفّذ دوريات المراقبة والمساعدة في عمليات البحث والإنقاذ،

إلى جانب عمليات حربية غير اعتيادية، وفقا لما يؤكّده سلاح الجو الأمريكي، الذي استعمل الطائرة لأوّل مرَّة سنة ٢٠٠٧م.

تصل سرعة تحليقها نحو ٢٣٠ ميلا في الساعة، ويجري التحكّم بها عن بعد من قبل ربّان ومشغّل جهاز استشعار.

علي الخفّاف:

حين كنا نبحث عن جثامين الشهداء وجدنا بعض أشلائهم وصلت حتّى الجهة الثانية من الشارع، وبعض الأشلاء وجدنها خارج طريق المطار تماماً، حيث وصلت إلى ما بعد السياج الأمني؛ لشدّة انفجار الصواريخ.

أقول (أنا الكاتب):

أسمتها قوات الاحتلال الأمريكي بعملية البرق الأزرق، وماهي إلاّ عملية الغدر الأسود، كلّ هذا الإمكانيات التّي استخدمها جيش الاحتلال الأمريكي هي من أجل استهداف عجلات مدنية وسط مطار دولي في مركز عاصمة آمنه، ثلاث صواريخ وعشرات الرشقات النارية، وفريق ميداني حتّى يتأكدوا أنَّهم قضوا على الحاجّ المهندس والحاجّ قاسم سليماني، ناسياً أن مدرسة المهندس وسليماني قد خرّجت آلاف المجاهدين على مدار أربعين عاماً.

عجزوا عن مواجهة الأسود وجهاً لوجه، فلجأوا إلى الغدر والاغتيال، هذا هو ديدن الجبناء ومَن شاركهم من العملاء.

رحل الحبيب:

في تمام الساعة ١٢:٤٥ بعد منتصف الليل من يوم ٢٠٢٠/١/٣م اتَّصل بي أحدُ الأصدقاء وقال لي: ربما استُهدف مقرُّنا الخاص قرب مطار بغداد بطائرةٍ مسيَّرةٍ!!

اتَّصلت سريعاً بالإخوة وسألتهم عن الأمر، فقالوا: لا، وإنَّما نعتقدُ أنَّ هناك قصفاً صاروخيّاً استهدف أحدَ القواعد العسكرية في محيط مطار بغداد الدولي.

لم يمضِ من الوقت الكثير حتّى وصلَتْ لي رسالة على كروب العمل مفادها: أنَّ هناك قصفاً استهدف عجلات خاصه أثناء خروجها من مطار بغداد، ولا يُعرف مَن كان فيها.

لا أدري لماذا اخترت الاتصال بالأخ العزيز محمّد الشيباني تلك الساعة، التّي رنَّ فيها هاتفه ولم يجبني حينها!

سَادَ القلقُ كلَّ الأخوة في الكروب، لكنَّنا جميعاً لم نحصل على معلومات جديدة، وكلّ الذي عرفنا ـ حتّى الساعة ١:٠٠ صباحاً تقريباً، أنَّ العجلات التّي استُهدفت تابعة إلى مديرية العلاقات؛ وبين ما أنا اتَّصل بالأخوة لأفهم ماذا جرى، نُشرت صورة الشهيد محمّد رضا الجابري، وفيها نعي الشهادة.

حينها كتبت للأصدقاء في كروبنا الخاص: إنَّني كنت مع الحاج المهندس وأعرف جيداً مهام الأخ محمّد الجابري، فإن صحَّ خبر استشهاده فهذا يعني أنَّ أحد القادة معه لا محالة؛ أنا أعرف الجابري جيداً لا يذهب إلى مطار بغداد إلاّ لاستقبال أحد الحجّاج أو توديعهم.

ما زالت كلّ الهواتف مغلقة وآخرون لا يجيبون! وهذا الذي جعلنا نشعر بالقلق أكثر. وفي تمام الساعة ١:٣٠ صباحاً كتب أحد الأخوة بالكروب الخاص: (يا صاحب الزمان) فعلمنا أنَّ أحد القادة استشهد لا محال؛ جميعنا يتساءل مَن الذي استُشهد مع محمّد رضا الجابري يا تُرى؟

عملت مع الحاج المهندس كمصوّر شخصي لعدّة سنوات وكنت على يقين تام منذُ أن قمتُ بتسجيل وصيّته عام ٢٠١٥م أنَّ الحاج المهندس سيرحل شهيداً لا محال؛ فكلّ سمات الشهادة كانت بالحاج المهندس.

تأكد خبر رحيل الحاج المهندس وسليماني معاً، وهنا شعرت أنَّ الدنيا قد غاب منها شمسها وقمرها، فغدا وجه الصباح بعيني مظلماً.

بين دقيقه وأخرى تردني عشرات الرسائل من عامّة الناس الذين أغلبهم يعرف أنّي كنت قريباً من الحاج المهندس من طابع كتاباتي للقصة القصيرة عن الحاج المهندس في حرب داعش وما بعدها، لكن قلبي لا يطاوعني أن اكتب نعياً بحقّ الحاج المهندس ولا أستطيع أن أرد على الناس الذين كتبوا في بعض رسائلهم: (أبو لواء العبّاس عليك إذا الحجّي استشهد لا تقول، قول كذب بعده عايش الحجي).

غلقت كلّ الرسائل ولم يكن أمام عينيَّ سوى تلك الآية الكريمة: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1].

كتبتها ولم تغفو عيني منذُ فجر يوم ١/٣ إذ بقيت ساهراً لعدّة ليالي قرب قبر الحبيب الذي فتح باب لحده وينتظر قدوم الجسد المقطّع إرباً إرباً.

(١) سورة التوبة:٥١.

بكيت لفراق الحبيب:

عبد الأمير رشيد اللامي[1]:

حين بلغني خبر استشهاد والدي وأخي على يد تنظيم القاعدة الإرهابي لم أشعر بالانكسار، حتّى أتذكّر أني لم أبكِ حينها، لكن برحيل الأخ والحبيب الحاجّ أبي مهدي المهندس شعرت وكأني فقدت نصفي الآخر، سالت دموعي حبّاً وحزناً على فراق الحبيب والصديق الذي ما زلتُ أشعر دائماً بحاجتنا له بأن يكون معنا.

عملنا معاً لأكثر من ستّ سنوات، لم أتذكر بأني رأيته متعصباً في يومٍ ما، أو منكسر، كان دائماً يتحدّث بأمل، بكل صنوفنا ومسمياتها العسكرية كان

(١) الفريق أول ركن عبد الأمير رشيد يار الله، رئيس أركان الجيش العراقي البطل.

يجمعنا الحاج المهندس على طاوله واحده، كنا نشعر بأنَّه هو أخونا الكبير الذي نجتمع حوله ونسمع ما يقول.

أنا ضابطٌ في المؤسسة العسكرية منذُ أكثر من ٣٠ عاماً لم أتذكر أنّي رأيت قائداً بشجاعة المهندس، كما لم أرَ شخصاً بالتواضع الذي يحمله أبو مهدي الحبيب.

أتذكر في ذات يوم كنا مجتمعين أنا ومجموعة من كبار الضبّاط في المؤسسة العسكرية العراقية وكان معنا الحاج المهندس، كان الاجتماع في مقر قيادة الشرطة الاتحادية العراقية، ومن العادات الكريمة التّي يُعرف بها الشعب العراقي هو تقديم الضيافة إكراماً للقادمين، وبين ما نحن مشغولون بالحديث عن العمليات العسكرية وآخر تطوراتها في المنطقة وضع أمامنا الشاي وقطع من الكيك المغطّاة بالكريم، وأنا أتناول الشاي ومن غير أن أنتبه مسَّ طرف قميصي العسكري كريمَ الكيكة فبقى عليه أثرٌ؛ وبينما الجميع منشدّ بالحديث والاستماع قام الحاج المهندس من مكانه وهو يحمل بيده المناديل الورقيّة لينحني أمامي ويزيل الكريم من قميصي، شعرت بالخجل وأنا أرى هذه الشيبة العظيمة تنحني أمامي، كما شعرت بالعزَّة لأنَّي أحبّ هذا الرجل الذي يحمل كلّ سمات الرجولة من الشجاعة والكرم والتواضع وطيبة القلب.

مهما مرّت السنوات على رحيل أخي وحبيبي أبو مهدي المهندس سأبقى في حنين دائمٍ إلى لقائه، وسأبقى بأمل أن نجتمع معاً في عالم الآخرة.

هذه هي الصورة الّتي وضعتها أمامي في مكتب رئاسة أركـان الجيش العراقي حتّى أبقى أنظر إلى وجه الحبيب دائماً.

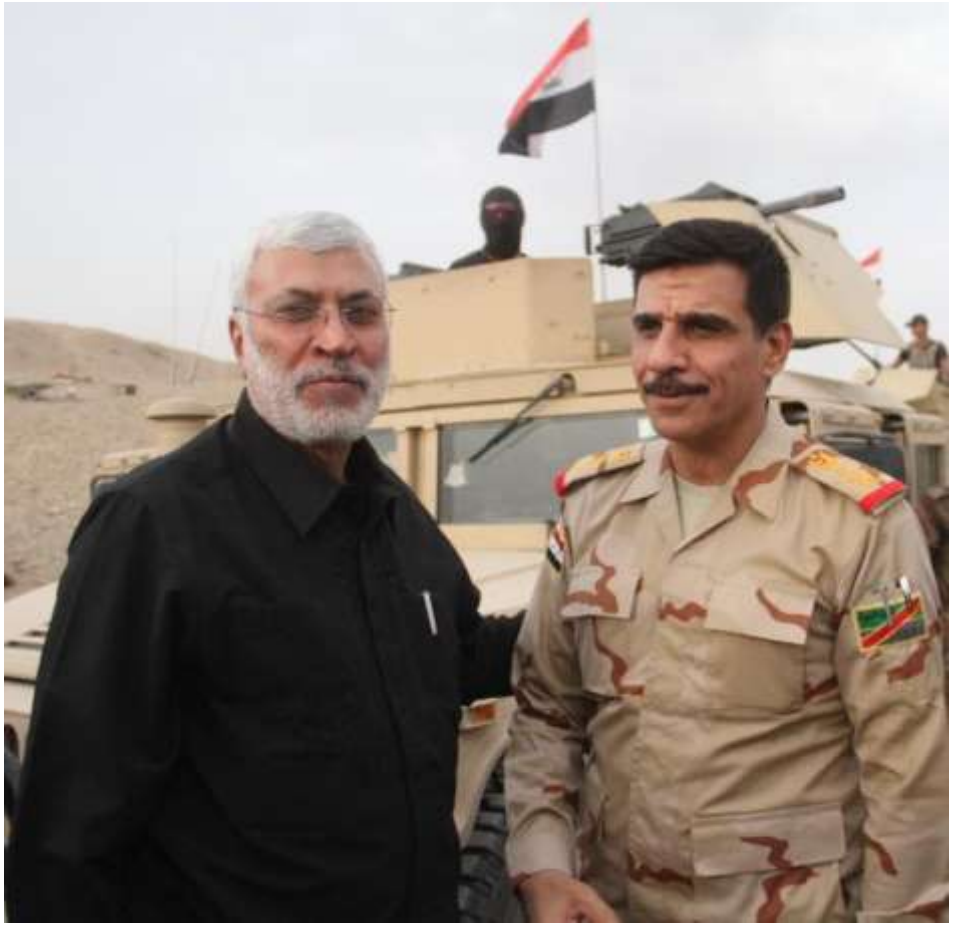

يمه صحبانك استشهدوا:

الحاج حسن فدعم[1]:

وصلت إلى مدينة مشهد المقدّسة يوم ٢٠٢٠/١/٢م وكنتُ متعباً جدّاً بسبب السفر؛ لذلك ألقيت بنفسي على سريري وكأنّي ميتاً من شدة النعاس والتعب، لم أصحو حتّى فجر يوم ١/٣ لكن أشعر وكأنَّ شيئاً ما قد حصل، فقلت ربما لأنَّني متعب. أخذت هاتفي وما إن نظرت إلى الشاشة وجدت والدتي تتّصل بي الأمر الذي أثار استغرابي جدّاً، ليس من المألوف أن تتّصل والدتي بهذا الوقت إطلاقاً، أجبتها وأنا أرتعش؛

(١) حسن فدعم عسل الجنابي، قائد في الحشد الشعبي ونائب برلماني سابق.

خوفاً على إخوتي، ربما حدث لهم مكروه، فسمعتها تبكي قبل أن تجيبني، أحتاج ثانية واحده فقط لأسألها عن سبب بكائها لكن لا أستطيع خوفاً من أن أسمع خبراً يجعلني أبكي معها أيضاً.

وأنا انتظرها تتحدّث لي أسأل نفسي لو أنّه حدث مكروه لإخوتي حتماً لا تتّصل أمّي.

فقلت: ربما توفي السيّد السيستاني، فأنا أعرف أمّي تحب هذا المرجع العظيم كثيراً.

سيطرتُ على مشاعري، وقلت لها: ها ماما لماذا تبكين هل حدث مكروه لا سمح الله؟

- يمه حسن صحبانك استشهدوا.

منو من صحباني يمه؟

- يمه المهندس وسليماني استشهدوا.

لا أعرف كيف غلقت الهاتف بوجه والدتي، ولم أشعر بشيء سوى أنَّ جسمي صار يرتعش بأكمله، تركت كلّ شيء خلفي بذلك الفندق وفي أقرب طائرة وصلت إلى بغداد، وصلت وليتني لم أصل بعد؛ إذ شعرت بأنَّ روحي خرجت مع تلك النعوش التّي حُملت على كفوف المحبّين.

موت والدي أهون عليَّ من شهادة الحاجين معاً:

عبد المطّلب الشرع[1]:

كما هو معتاد لدى عامة الناس أبقى أتصفّح هاتفي قبل المنام حتّى يغلب عليَّ النعاس وأنام، لكن ليتني نمت قبل أن أرى وأقرأ ما لم أتوقّعه طيلة حياتي.

الشيخ حيدر الخاقاني:

تركت صهري على أختي السيّد عبد المطَّلب في غرفة الضيوف، وذهبت إلى غرفتي كي أخلد إلى النوم، وما هي إلاّ دقائق حتى عجَّ

(١) السيد عبد المطلب جبار الشرع، رئيس قسم تراث الشهداء في مديرية الإعلام العام في هيئة الحشد الشعبي.

بيتي بالصراخ بصوت عبد المطَّلب الذي يبكي ويهتف بإسمي: حيدر! حيدر! لم أستطع أن أقف على قدميّ حينها، أحسست بأنَّها لا تحملني، فصرت أتَّكئ على جدران البيت، وكأنَّ تلك الأمتار بين غرفتي وغرفة الضيوف أصبحت ألف ميل، ازدحمت في ذهني الكثير من الصور وكان أقربها لي وفاة والدي؛ حيث كان مريضاً جدّاً، فقلت - في نفسي - ربما اتصلوا بالسيّد وأخبروه بوفاة والدي؛ كي يخبرني ويهوّن عليَّ المصاب!

فتحت الباب وأنا أسأل السيّد: ها سيّد مات والدي؟ فردَّ عليَّ: لا حيدر، الحاجّ المهندس والحاجّ سليماني استشهدا، جلست أرضاً وأنا أشعر بأنَّ سابع جار أستيقظ على صراخي، وقلت حينها لصهري عبد المطَّلب: والله لو أخبرتني بأنَّ والدي توفي أهون عليَّ من خبر شهادة الحاجّين.

السيّد عبد المطَّلب:

أخرجت هاتفي وصرت أبحث بين عشرات الصور على تلك الصورة التي التقطتُها للرسالة التّي كتبها الحاجّ المهندس بخطّ يده إلى شهداء الإعلام الحربي وسلّمها بيدي، قرأتها وأنا أبكي حتّى أستوقفني نصّ الدعاء وهو يطلب منهم أن يدعوا له بالشهادة.

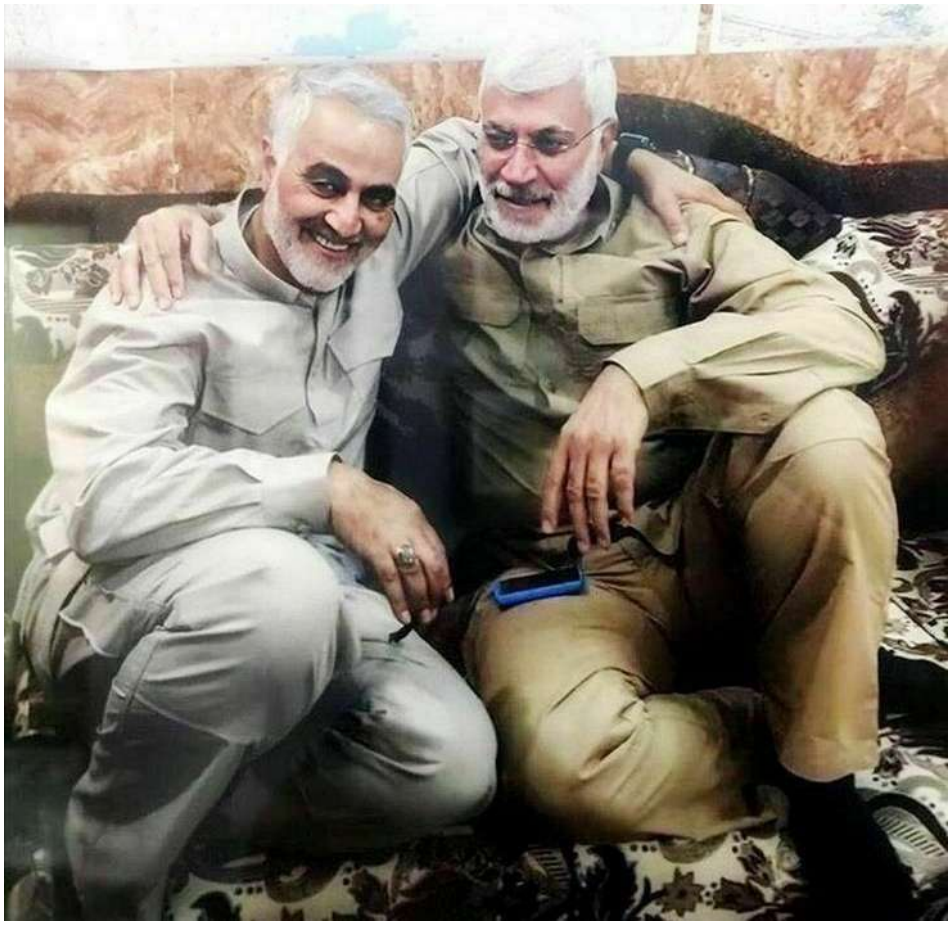

إلهي لا تأخذهم معاً:

السيّد خضير المطروحي [1]:

أنا رجل ريفي من ريف جنوب العراق محافظة الديوانية، تعلّمنا منذُ أن كنّا صغاراً نستيقظ حين صلاة الفجر ونخلد للنوم مبكراً.

(١) السيد خضير جابر المطروحي، قائد عمليات محافظة نينوى للحشد الشعبي وآمر اللواء ٢١.

في يوم ٢٠٢٠/١/٣م كنت في قاطع العمليات العسكرية، محور حقول (علاس) في محافظة صلاح الدين، نمت مُبكّراً؛ لذلك لم أستمع للأخبار ولم أعرف ماذا حصل حتى سمعت صوت أحد الشباب وهو يناديني بصوت رعب، استيقظت فوراً ويدي على سلاحي، وكل ظنّي أنَّنا تعرّضنا إلى هجوم، وهو أمرٌ مألوفٌ لدينا؛ إذ بين فترة وأخرى نتعرّض إلى هجومٍ من قبل عصابات داعش، فقلت له: ما بك، ماذا حدث، لماذا هذا الصوت العالي والمرعب؟!

فقال لي: سيّدنا الحاجّ أبو مهدي والحاجّ قاسم سليماني استشهدا معاً بقصف أمريكي قبل ساعة.

لم أتقبّل الخبر بعد، وأشعر كأنَّي ما زلت نائماً، وأنَّ الذي أسمعه الآن هو حلم. كرّرت عليه السؤال مجدّداً بأمل أن أستيقظ من هذا الكابوس المرعب، وقلت له: ماذا جرى ولدي ماذا تقول؟

ـ سيّدنا الحاج أبو مهدي والحاجّ قاسم استشهدا معاً.

أخذت هاتفي وأنا أسير وسط تلك الجبال وأتّصل بالقادة، وكلّي أمل أن يجيبني أحدهم ويقول لي: إنَّ الذي سمعته هو إشاعة وخبر مكذوب، وأنَّ الحاجّين بخير، لكن حتّى هذا الأمل خاب، فكلّ الذي اتصلت بهم وجدتهم يبكون حين يسمعون صوتي ولهفتي وأنا أسأل عن الحبيبين.

فتحت برنامج الواتساب، وما إن فتحت البرنامج حتى وصلت لي صورة كفّ الحاجّ قاسم سليماني، فأنا أعرف هذا الكف جيداً، أعرفها منذُ أن صافحتها قبل عشرين عاماً.

أغلقتُ هاتفي ورفعتُ رأسي إلى السماء، وأنا أدعو الله: إلهي خذ أحدهم واترك لنا الآخر، إلهي! لا يوجد لدينا قادة سواهم، فبحقّ محمّد وآل محمّد لا تأخذهم معاً. لكن رجعت يداي خالية، فقد أصبح رحيلهم واقعاً مؤلماً فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

صورة للحاج قاسم سليماني اثناء زيارته للسيد خضير المطروحي بعد اصابته اثناء المواجهة مع داعش

❖ ❖ ❖

خطاب المرجع الأعلى:

الخطبة الثانية التّي ألقاها ممثّل المرجعية الدينية العليا الشيخ عبد المهدي الكربلائي يوم الجمعة المصادف ٣-١-٢٠٢٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

تتسارع الأحداث وتتفاقم الأزمات، ويمرّ البلد بأخطر المنعطفات، فمن الاعتداء الآثم الذي تعرّضت له مواقع القوات العراقية في مدينة القائم، وأدّى إلى استشهاد وجرح العشرات من أبنائنا المقاتلين، إلى الحوادث المؤسفة التّي شهدتها بغداد خلال الأيام الماضية، إلى الاعتداء الغاشم بالقرب من مطارها الدولي في الليلة الماضية بما مثّله من خرق سافر

للسيادة العراقية، وانتهاك للمواثيق الدولية، وقد أدّى إلى استشهاد عدد من أبطال معارك الانتصار على الإرهابيين الدواعش.

إنَّ هذه الوقائع وغيرها تنذر بأنَّ البلد مقبل على أوضاع صعبة جدّاً، وإذ ندعو الأطراف المعنية إلى ضبط النفس والتصرّف بحكمة نرفع أكفَّنا بالدعاء إلى الله العلي القدير بأن يدفع عن العراق وشعبه شرَّ الأشرار وكيد الفجّار.

اللَّهُمَّ! إِلَيْكَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ، وَ مُدَّتِ الْأَعْنَاقُ، وَ شَخَصَتِ الْأَبْصَارُ، وَنُقِلَتِ الْأَقْدَامُ، وَأُنْضِيَتِ الْأَبْدَانُ، اللَّهُمَّ! قَدْ صَرَّحَ مَكْنُونُ الشَّنَآنِ، وَجَاشَتْ مَرَاجِلُ الْأَضْغَانِ، اللَّهُمَّ! إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ تَشَتُّتَ أَهْوَائِنَا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا وَقِلَّةَ عَدَدِنَا، فَفَرِّجْ عنّا يَا رَبِّ بِفَتْحٍ مِنْكَ تُعَجِّلُهُ، وَنَصْرٍ مِنْكَ تُعِزُّهُ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ.

البرلمان العراقي:

بتاريخ ٢٠٢٠/١/٥م بعد عملية اغتيال قادة النصر ب ٤٨ ساعة، عقد البرلمان العراقي جلسة طارئة، صوّت فيها على إخراج قوات الاحتلال الأمريكي، وكان التصويت بأغلبية ساحقة، لكن كما يعرف الجميع أنَّ قوات الاحتلال الأمريكيّة لا تحترم أرادة الشعب، ولا تخضع للقانون، حيث أصبح هذا القرار عباره عن قرار ورقي لا يعني شيئاً؛ فما زالت قوات الاحتلال تصول وتجول وسط عراقنا الحبيب، وما زالت تهاجم وتستهدف قواتنا الأمنية وأبطال الحشد الشعبي، كما ما زلوا يدعمون داعـــــش، بل ويوفّرون لهم كلّ الإمكانيات اللوجستية وما شابه ذلك..

من بغداد إلى طهران:

علي الخفّاف:

فجر يوم السبت المصادف ٢٠٢٠/١/٤م وصلت عجلات حرس الشرف في وزارة الدفاع العراقي، وما إن باشرنا برفع الشهداء على العجلات، رفض أحد الضبّاط المرافقين للعجلات، رفع جثمان الشهيد الحاج قاسم سليماني مع العلم

الإيراني، وأصبحت هناك مشادّة كلامية مع الضابط، وأراد الشباب التدخّل، لكن رفضنا أن يتطوّر الأمر أكثر، قلت لذلك الضابط الحاقد: إنَّ عجلات الشرف لا تشرّفنا حين لا تحمل جثمان الحاجّ قاسم سليماني، خذوا عجلاتكم واذهبوا.

تحدّث الحاجّ مهنّد العقابي مع الضابط وقال له: إنَّ هذه العجلات خرجت بأمر من رئيس الوزراء، والقائد الذي تعترض على رفع جثمانه مع علم بلده هذا دبلوماسي عسكري وداخل هنا بعلم الدولة وطلبها. اقتنع الضابط بكلام العقابي، وحملنا نعوش الشهداء وسرنا اتجاه الكاظمية المقدّسة، كنت خائفاً جدّاً من أن نتعرّض إلى موقفٍ ما، لكن حصل عكس ما نتوقّع تماماً، فما إن فُتح باب

المطار حتى هبّت الناس على عجلات الشرف لتمسك بنعوش الشهداء، نساء تصرخ وشباب تلطم الصدور، وأطفال ترفع صور الحاجّين قاسم وجمال، لم أدرك نفسي وأنا أشاهد هذا المنظر العجيب الذي لم نتوقّعه إطلاقاً، فنحن لم نعلن عن موعد تشييع الشهداء بعد، أبكي وأنا أحدّث نفسي حتماً أنَّ دماء الشهداء أثمرت وستثمر بعد.

وما كنّا نخشاه لم يكن، والغربة التّي شعرنا فيها انهزمت، وأصبح درس انتصار الدم على السيف حقيقة مطلقة أمامنا، أصبح رتل الشهداء لا نهاية له، وكأنَّ بغداد خرجت بأسرها تودّع قائدها وضيفه، غصّت شوارع بغداد بالناس، وأمّا مدينة الكاظمية فلم نجد فيها طريقاً نستطيع أن نسير من خلاله، حشود الناس بالملايين، وقُطع الطريق علينا، حتّى أنا الذي كنتُ أرافق الشهداء أصبحتُ في طرف والشهداء في طرفٍ آخر، مضى الوقت المتَّفق عليه ولم نصل بعد مرقد الإمامين عليهما السلام.

هاتفتُ الدكتور حيدر الشمّري وشرحتُ له الموضوع، فقال لي: لا نستطيع رفع الجثامين وسط تلك الناس، سأفتح لك طريقاً خاصّاً لنمرّر عجلات الشهداء داخل رواق الحرم.

لكن حتّى هذا الخيار الذي تحدّث به الدكتور حيدر لم يمكننا فعله، ولا نستطيع إدخال العجلات مهما بلغ الأمر.

ما إن تداولت مواقع الأخبار العالمية صور المشيّعين حتى جاءه القرار بإلغاء تشييع الشهداء داخل المنطقة الخضراء؛ لكونها تضم سفارة الشيطان الأكبر المتورّط باغتيال قادتنا.

كنت على يقين أنَّهم سيرفضون تشييع الشهداء داخل الخضراء؛ خوفاً من دخول السفارة وحرقها بمن فيها.

حين وضعت بقايا جثامين الشهداء في عجلتي الخاصّة، كنت أخشى أن تأتي أمريكا وتأخذ الجثامين أو يوجّهون عملائهم للاعتداء على الشهداء، أم الآن أصبح كلّ شيء مختلف تماماً فأنا هنا أسمع أصوات الملايين من الناس تهتف الله، الله أكبر، أمريكا الشيطان الأكبر.

أصبحت أعداد الناس تزداد حتّى غصّت الطرق العامّة بالمشيّعين، أردنا الخروج من الكاظمية حتّى ندرك تشييع الجادرية، لكن لا حيلة إمامنا؛ فالناس تحيط بالعجلات من كلّ جهة، لم يكن أمامنا خيار سوى الخروج من باب أخرى للعتبة الكاظمية المقدّسة. وصلنا إلى مطار المثنى ثمّ اتجهنا إلى المنطقة الخضراء، سمحوا لمرور بعض العجلات، المرافقة لعجلات الشهداء، ورفضوا العجلات الأخرى.

على امتداد الطريق وأنا أشاهد آلاف الناس تؤدّي التحيّة العسكرية للشهداء، وعندما وصلنا إلى جسر الخضراء المعلّق الذي يؤدّي إلى ساحة الحرية، شاهدت آلاف الناس يتجمهرون، وحين شاهدوا نعوش الشهداء أمامهم، لم ينتظروا وصولنا لهم، فخلعوا باب الخضراء أمامهم، وهم يلطمون الصدور حفات، حينها شعرت بأنَّهم يحملون العجلات والشهداء معاً.

ثلاث من النعوش كانت خالية من جثامين الشهداء، بينهم نعش الحاجّ المهندس، فنحن جمعنا ما تبقّى من الحاجّ قاسم سليماني والحاجّ المهندس في نعشٍ واحدٍ، وهو نعش الحاجّ قاسم سليماني، أمّا النعش الذي كان يحمل صورة الحاجّ المهندس، فجمعنا فيه بقايا من جثامين الشهداء لم نتعرّف عليها بعدُ.

انتهت مراسيم تشييع الجادرية، واتّجهنا بالشهداء نحوه مطار بغداد العسكري، فكان الاتفاق الأوّلي هو نقل جثمان الحاجّ قاسم سليماني ورفاقه الأربعة إلى وطنهم الجمهورية الإسلامية، ويُنقل معهم جثمان الحاجّ المهندس إلى طهران لغرض فحص(DNA) لأنَّ عائلة الحاجّ المهندس تقيم هناك.

فما إن وصلنا إلى المطار العسكري حتى أصبح هناك رأي آخر وخطرت لديَّ فكرة جديدة، وهو أن نقوم بتشييع الجثامين كلّها في مدينتي كربلاء المقدّسة والنجف الأشرف؛ وذلك لأنَّ الحاج المهندس بعد فحص (DNA) في طهران سيعود إلى العراق وسيشيّع في كربلاء المقدّسة والنجف الأشرف، لكن الحاجّ قاسم سليماني ورفاقه، سيُحرمون من هذه الزيارة ولم يعودوا بعد إلى العراق؛ لذلك علينا أنَّ نقوم بتشييع جميع الشهداء، ثمّ نأخذهم إلى طهران.

رحّب الجميع بهذا الرأي، واتَّصل السفير الإيراني في بغداد بطهران لأخذ الموافقة بتغيير البرنامج المتَّفق عليه سابقاً، فكان رأي الأخوة في طهران كما هو رأيي، بأن نؤدّي تشييعهم والزيارة بهم أوّلاً ثمّ ننتقل إلى طهران عبر مطار النجف الأشرف الدولي.

حملنا نعوش الشهداء في الطائرة العسكرية، واتَّجهنا إلى محافظة كربلاء المقدَّسة، طول الطريق من بغداد إلى كربلاء، شاهدت آلاف العجلات على جانبي الطريق، ينتظرون بأمل أن تمرَّ نعوش الشهداء أمامهم، وصلنا إلى مطار

الوقف الشيعي في كربلاء، ومن هناك حملنا نعوش الشهداء بالعجلات إلى حرم باب الحوائج أبي الفضل العبّاس عليه السلام، لم أرَ هكذا تجمّع طوال حياتي إلاّ في يوم عاشوراء، ذكرى شهادة أبيّ الضيم أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فكلّ الشوارع العامّة وحتى الفرعية قد غصّت بالناس. حان موعد صلاة المغرب ونحن لم نصل بعد إلى حرم أبي الفضل العبّاس عليه السلام.

يقول سائق إحدى العجلات ـ التّي تحمل الشهداء ـ لم أكن أستطيع قيادة العجلة، فأنا تركت العجلة على وضع(N)والناس هم مَن قام بتحريك العجلة والسير بنا!!

دخلنا الحرم الشريف وأقمنا صلاة المغرب والعشاء بإمامة السيّد أحمد الصافي، معتمد المرجعية، انتهينا من الصلاة الواجبة وتقدّم السيّد أحمد الصافي نحو الشهداء وأقام صلاة الميّت على الشهداء.

انتهينا من مراسم زيارة قمر العشيرة أبي الفضل العبّاس عليه السلام واتّجهنا إلى زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام. لا أعرف كيف وصلنا إلى حرم الإمام عليه السلام؟

كنت برفقة الحاجّ مهنّد العقابي في مرافقة الشهداء، لكن حين وصلنا إلى مدينة كربلاء المقدّسة، لم نستطع الوصول إلى نعوش الشهداء، وسرنا مع عامّة الناس، وعندما وصلنا إلى حرم الإمام الحسين عليه السلام وجدنا الناس كلّها تنتظرنا في الداخل.

تأخّر الوقت كثيراً ونحن ما زلنا نحاول إدخال جميع الشهداء، استطعنا بشقّ الأنفس، جمع نعوش الشهداء داخل الحرم، ليتقدَّم سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي للصلاة عليهم، أقام الشيخ الكربلائي الصلاة على الشهداء واحداً تلو الآخر، ثمّ انحنى على نعوشهم وقبَّلها وهو يبكي عليهم.

أقول (أنا المؤلّف): كنتُ في محافظة النجف الأشرف أنتظر قدوم الشهداء، وكنت على اتّصال مستمر مع الحاجّ مهنّد العقابي، وسألته عن تقديره لوصول الجنائز إلى مدينة النجف الأشرف؟ فقدّر لي وقت وصولها قبل صلاة المغرب. كنتُ في الانتظار منذُ الساعة الرابعة عصراً عند مدخل المدينة القديمة في النجف الأشرف، وهناك وجدت آلاف الناس تنتظر قدوم الشهداء، عندما سألت بعضهم منذُ متى أنتم هنا؟ قالوا منذُ صلاة الظهر ننتظر قدوم الشهداء،

وقفت معهم أنتظر حتّى الساعة ١٠:٠٠ مساءاً! وآلاف الناس حولي ينتظرون كذلك، وفي الساعة ١٠:٣٠ مساءاً وصلت نعوش الشهداء بين الزحام الشديد، والناس في حالة من التدافع للوصول إلى الجثامين الطاهرة. وصلت إلى نعش الحاج المهندس، ذلك الحبيب الذي فُجعنا في رحيله، قبّلتُ نعشه وأنا أتذكّر كيف كان يقبّلنا.

أقسم بالله العليّ العظيم كان الناس في حرقة وغيض وغضب على فقد الشهداء إلى درجةٍ قصوى، بحيث لو أدخلونا إلى الخضراء لهدمنا سفارة الشيطان الأكبر بأيدينا فقط، لكن لا أعرف كيف غمضت جفون القادة في تلك الليلة التّي رحل فيها جمالنا وقاسم مقطّعاً إرباً إرباً؟!

حتّى الآن لم أصدّق كيف شيّعنا الشهداء في منطقة الجادرية وسفارة الشيطان الأكبر وقواعدهم تبعد عنا أمتار؟

في أعراف بعض العشائر العراقية حين يُقتل أحد منهم يحرقون بيوت القتلة، ويهجّرونهم من ديارهم ومسقط رأسهم، مع أنَّهم يأخذون الهدنة من أهل المقتول بواسطة طرف آخر، ولكن مع هذا يقومون بهذا الفعل الشنيع، ويبقى دم القاتل مهدوراً! والحال أنَّهم على دينٍ ومذهب واحد! أنا لستُ مع هذه الأعراف العشائرية المخالفة لكتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وهدي آله وعترته، لكنَّي أقول: أين غابت تلك الأعراف العشائرية وعدوّنا في مرمانا وهو

على غير ملّتنا وقد تبنّى كل العملية وقتل أهلنا وضيوفنا التي دعتهم حكومتنا وبذلوا من أجلنا الغالي والنفيس؟! أليس من الهوان أن نسكت على الأخذ بثأرنا، ونغمض جفوننا، وقد أقرح الأعداء عيوننا وأدموا صدونا؟!

علي الخفّاف:

أقلعت الطائرة من كربلاء المقدّسة نحو النجف الأشرف، وكنت على متنها مرافقاً للشهداء، نظرت من نافذة الطائرة على الطريق العام الرابط بين النجف وكربلاء، على مدى بصري شاهدت الناس تسير بآلاف العجلات، وآلاف ينتظرون على جانبي الطريق، أغلب المحبّين كانوا يظنّون أننا سننقل الشهداء بين المحافظات بواسطة العجلات؛ لذلك كانوا ينتظروننا على الطريق العام، لكنّنا اخترنا النقل الجوي؛ حتى لا نتأخّر أكثر على المحبّين المنتظرين.

حطّت الطائرة العسكرية رحالها في مطار النجف الأشرف الدولي، فوجدنا عشرات الشخصيات السياسية والعسكرية ينتظرون قدوم الشهداء، كان في مقدّمتهم آية الله السيّد محمّد رضا السيستاني، نجل المرجع الديني الأعلى سماحة السيّد علي السيستاني.

حملنا الجثامين بواسطة العجلات المخصَّصة لنقل الشهداء، لكن نحن في حيرة من أمرنا كيف نخرج من المطار؟! وقد أُغلقت كلّ الطرق المؤدّية إلى

حرم الإمام أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، كما أُغلقت بوّابات المطار من قِبَل المُشيّعين.

عرف الكثير من الناس بأنَّنا سوف ننقل الجثامين الطاهرة من مدينة كربلاء المقدّسة إلى النجف الأشرف بواسطة الطائرات؛ لذلك وصلوا قبل وصولنا إلى المطار، وقطعوا الطريق أمامنا، فمن مطار النجف الأشرف حتّى حرم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، أخذ منا وقتاً تجاوز الساعة والنصف لمسافة لا تزيد على خمسة كيلو متر!!

كان الحضور الجماهيري في تشييع الشهداء من نوادر التشييع الذي حصل في العراق على مرّ التاريخ، من حيث النوع والكم، والتلاحم الجماهيري بأطيافه وألوانه، مضافاً إلى سعته وشموليته، والتفاعل معه.

أدخلنا نعوش الشهداء إلى حرم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من رواق الشيخ الطوسي رحمه الله، من باب الحرم حتّى الجهة الأخرى لباب القبلة، وقد استغرق معنا أكثر من ساعة، فلا أحد يستطيع أن يسيطر على مسير النعوش، تلقّفت الأيادي منّا الشهداء، وصاروا كأنَّهم يطوفون فيهم حول الحرم، وبشق الأنفس أوصلنا الشهداء إلى الصف الأوّل من الناس؛ ليتسنّى لآية الله العظمى الشيخ بشير النجفي أن يصلّي عليهم.

وقد عرفت من الأخوة الذين يرافقون الشيخ النجفي، أنَّهم كانوا ينتظرون قدوم الشهداء منذ صلاة المغرب، ونحن الآن على أعتاب الساعة ١٢:٠٠ صباحاً ما يقارب الساعات الستّ وهم في حالة انتظار وترقّب.

ما إن وقف الشيخ النجفي للصلاة على الشهداء حتى أجهش بالبكاء عليهم، وأصبح لا يستطيع أن يقرأ لشدّة بكائه، الناس بالمئات خلفه، ومثلهم أضعاف مضاعفة من الحشود الذين يقفون خارج الحرم وهم يشاهدون بكاء المرجع عبر شاشات العتبة العلوية، والجميع يبكي لما خسرنا من قادة كان لهم الفضل ـ بعد الله تعالى ـ بتحرير العراق وحفظه.

حملنا الشهداء مجدَّداً بالعجلات المخصَّصة لنقلهم، واتّجهنا نحو مطار النجف الأشرف، لغرض نقل الشهداء إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية، اتصلت بي عائلة الحاج المهندس وهو الاتصال الأوّل بعد حادثة الاغتيال، سألوني عن

موعد وصولنا إلى طهران، أخبرتهم بأننا في مطار النجف الأشرف، وستقلع الطائرة الإيرانية نحو مطار الأهواز.

كان الطائرة الإيرانية من شركة (ماهان) متوقّفة على مدرج المطار بانتظارنا.

نقلنا جثمان الحاجّ المهندس والحاجّ قاسم ورفاقه الأربعة فقط.

أمّا الشهداء الأربعة الآخرون الذين يرافقون الحاج المهندس، فقد نقلوا إلى قبورهم في وادي السلام.

السيّد كاظم الجابري:

زرنا الكاظمية ورافقت جثمان ولدي إلى كربلاء المقدَّسة وطول الطريق أتحدَّث مع النعش وكأنَّ ولدي محمّد رضا أمامي ويسمع كلامي، وأنا أتحدَّث معه تذكّرت تلك الكلمة التّي قالها الحاج المهندس لولدي محمّد رضا.

ـ محمّد! باباتي أنا عازم على القضية فهل أنت على استعداد أن تكون معي؟

حينها سألت ولدي محمّد رضا، بابا! بما ذا أجبتَ الحاج المهندس؟

قال لي: بابا! قلت له: نعم يا حاجّ سأكون معك حيث تكون.

كنت أوصي ولدي كثيراً بالحاج المهندس وأقول له: بابا محمّد رضا! عليك بالحاج واهتمّ به فهو يعتبرك ولده.

فكان يقول لي: صار بابا بالخدمة.

الحمد لله، كان ولدي صادق معي حيث لم يخلف وصيّتي وكان مع الحاج المهندس إلى آخر لحظة من حياته، حتى نال وسام الشهادة، وختم حياته بالسعادة الأبديّة، واستشهد مع الحاج المهندس في العجلة نفسها، وتقطَّع جسده إرباً إرباً معه؛ ليختلط دمه الطاهر بدمائهم الطاهرة.

وصلنا إلى النجف الأشرف وهناك في مقبرة وادي السلام دفنتُ قرّة عيني ولدي البكر محمّد رضا بجنب قبر الشهيد القائد الحاج أبي مهدي المهندس، ودفنتُه جسداً متفحّماً مقطَّعاً وبلا رأس.

أقول: (أنا المؤلّف):

رحيل محمّد رضا مقطَّعاً قد كسر قلبَ والده، حتّى بان الحزن والتعب على وجهه، لكن لم أكن أتصوّر أن أرِاه منكسراً وحزيناً على فقدان محمّد رضا

وشقيقته فاطمة التّي وافاها الأجل في الذكرى الأولى لرحيل شقيقها محمّد رضا، أثر حادث سير أدّى إلى وفاتها مع زوجها الأخ العزيز أحمد الجابري.

حين ذهبت إلى بيت الجابري، كان برفقتي الصديقان العزيزان، أبو رضا السالم، والحاجّ الجريح خالد الغزالي، رحّب بنا السيّد الجابري كثيراً، وسريعاً ما طلبت منه البدء بالحديث عن ولده محمّد رضا الجابري، وعن تلك الليلة التّي أخذت منه مهجة فؤاده شهيداً مقطّعاً، قسماً والله لم ينطق بكلمة واحده طيلة حديثه معي دون أن تصحبها دمعة، حطّت دموع الجريح خالد رحالها على الأرض، وكذا الأخ أبو رضا، خرج مسرعاً ليبكي خارج غرفة الضيوف، حاولت أن أبقى كما أنا؛ كي أستطيع أن أكمل معه الحديث حتّى نهايته، لكن لم أتمكّن من ذلك فالدموع جرت وسالت من دون إرادتي، فنبرت صوت السيّد الجابري وهو يتحدّث عن ولده محمّد رضا كانت بمثابة أبيات رثاء رقيقة تكسر القلب، وتشعرك بالفقدان والحزن.

وكأنَّ قصيدة أبي الحسن التهامي تُلقى مجدَّداً:

يا كَوكَباً ما كان أقصرَ عُمرُهُ وكذا تكونُ كَواكبُ الأسحَارِ

عَجِلَ الخُسوفُ عليهِ قبلَ أوَانِهِ فَمَحَاهُ قبلَ مظَّنَّةِ الإبدَارِ

جاوَرتُ أعدائي وجاوَرَ رَبَّهُ شَتَّانَ بينَ جِوارِهِ وَجِوارِي

علي الخفّاف:

رافقت أنا الشهداء من النجف الأشرف إلى إيران وكان برفقتنا أيضاً الحاجّ أبو علي البصري وزوجته، والسيّد حيدر الحكيم نجل آية الله الشهيد السيّد محمّد باقر الحكيم، والحاج أبو ضياء الصغير، والأخ ع ـ ف.

طول الرحلة من النجف الأشرف إلى مدينة الأهواز عرضوا لنا في شاشات الطائرة مقاطع عن الحاجّ قاسم سليماني والحاجّ أبي مهدي المهندس، فلم

نستطع الكف عن البكاء ونحن نشاهدهم، ونتذكر كيف كنا في هذه الجبهة وتلك.

وصلنا إلى مطار الأهواز بعد منتصف الليل، المصادف يوم ٢٠٢٠/١/٥م ومنذُ ليلة ٢٠٢٠/١/٢م وأنا لم أذق طعم النوم، ولم أتناول إيَّ شيء.

أخذ الأخوة الذين كانوا يرافقون الشهداء إلى الفندق من أجل أن يرتاحوا، وبقيت أنا أرافق جثامين الشهداء إلى معراج الشهداء، وهو المكان المخصّص لإعادة تأهيل الشهداء من تكفين وتزيين النعوش وما شابه ذلك.

فُتحت نعوش الشهداء، وفتحنا النعش الذي كنّا نجمع فيه بقايا من جثامين لا نعرف أصاحبها، باشروا الأخوة بإزالة التراب عن الشهداء، كما أزلوا رماد النار، وقاموا بترتيب الجثامين بالأكفان مع قطع القطن الطبّي، ونحن نرتّب في القطع الأخرى من الشهداء تعرّفت على كفّ الحاجّ المهندس، وكانت بلا خاتم، استمرَّ عمل الشباب حتّى صلاة الفجر، وكتب على جثمان كلّ شهيد اسمه وكنيته، فسألوني ماذا نكتب على كفن الحاجّ المهندس؟ قلت لهم: اكتبوا كلمة (الشايب)؛ فكثيراً ما كنّا نناديه بهذا الاسم، كما نستخدمه في الأوضاع الأمنية عندما نكون في جانب الحاجّ المهندس ويأتي لنا اتّصال ويكون هناك وضع أمني خاص، نقول: نحن مع الشايب، فيبتسم الحاجّ المهندس حين يسمع كلمة الشايب.

أمّا أنا شخصيّاً كنت أُسمّيه (الحبيب)، وحتّى في هاتفي كتبت على رقم هاتفه الخاصّ اسم الحبيب.

في العمليات العسكرية، يُرمز لجهاز النداء الخاص بالحاجّ قاسم سليماني، باسم (حبيب) وفي عمليات محافظة صلاح الدين استخدمَ الحاجُّ المهندسُ جهازَ الحاجّ قاسم سليماني، فكنت أناديه باسم الجهاز: حبيب! حبيب! كيف تسمعني أجب، فأحببتُ ذلك الاسم للحاجّ المهندس، وكنتُ أعتزُّ به؛ لأنَّني كنتُ أحسُّ بتعبيري عن حبّي له باستمرار من خلال هذا الاسم اللطيف.

انتهى الخطّاط من خطّ اسم (الشايب) على جثمان الحاجّ المهندس، وانتهى الأخوة من تجهيز نعوش الشهداء ورفعها على العجلة الكبيرة المخصَّصة لنقل الشهداء بين المشيّعين في مدينة الأهواز.

ذهبت للفندق من أجل أن أغتسل قبل تشييع الشهداء صباحاً، فأنا لم أغتسل، بل ولم أغيّر ملابسي منذ ليلة الشهادة حتّى الآن.

أشرقت الشمس وخرجت عجلة الشهداء بين الناس، لم أرَ هكذا تجمّعاً طيلة حياتي، لا أستطيع أن أصفه لكم بكلمة، كنت أخشى أن تصبح هناك كارثة بسبب التدافع بين الناس، لا أستطيع أن أذكر لك رقماً محدَّداً للمشيّعين، لكن أستطيع أن أقول لك: ملايين بين فتيان يبكون ونساء تلطم الخدود، وشباب تسير حفاة.

أقول (أنا المؤلّف):

كان بعض المنافقين يراهنون على عدم خروج الناس في مدينة الأهواز لتشييع الشهداء، لكن أخزاهم الله بخروج الملايين من الناس وهم يبكون على قائدهم العظيم، الذي وقف معهم في كلّ المحن التي مرّوا بها، وأخرها الفيضانات الّتي أخذت بيوتهم ومزارعهم. لم يتركهم الحاج قاسم سليماني وحدهم، حيث كان من أوّل الحاضرين بينهم، وكان برفقته الحاجّ المهندس، وقدّم لهم الحاجّ سليماني كلّ الإمكانات الّتي يستطيع تقديمها، وقال لهم كلمته الّتي ما زل صداها بين الناس حتّى الآن: «يقيناً كلّه خير».

علي الخفّاف:

لم نستطع الخروج من المشيعين إلاّ بشق الأنفس، كانت الناس تحاول إنزال الشهداء من على العجلة وحملهم بأيديهم. ما إن انتهى تشييع مدينة الأهواز حتى قصدنا مطارها مجدَّداً، قاصدين مدينة مشهد المقدَّسة، لم تحط الطائرة بعد على مدرج المطار، ونحن نشاهد آلاف المحبّين تسير مسرعة إلى بوّابات المطار؛ ليدركوا الوصول إلى الشهداء أوّلاً.

ما إن وصلنا إلى أرض المطار، سرعان ما حملنا النعوش بواسطة العجلات المخصَّصة لنقل الشهداء؛ من أجل تفادي وصول المشيّعين لجثامين الشهداء، خرجنا تجاه حرم الإمام الرضا عليه السلام، وهنا رأيت أعداداً هائلة من الناس تسير

بالطرقات، من المطار حتّى الحرم، لم أرَ طريقاً واحداً خالياً من الناس، وكأنَّ مشهد خرجت بأسرها لتشييع الشهداء، منذ صلاة الظهر حطّت طائرتنا في مطار مشهد، ونحن الآن على أعتاب صلاة المغرب ولم نصل إلى حرم الإمام الرضا عليه السلام بعد، كيف نسير في الطرقات وهي عبارة عن بشر يسيرون أمامنا؟!

قرّرنا من الرواق الأوّل للحرام ثمّ نعود إلى المطار؛ حتّى ندرك البرنامج المُعدّ الليلة للشهداء في العاصمة طهران.

كان قرارنا بالعودة قبل دخول الحرم، لكن قرار المشيّعين كان هو الأقوى؛ حيث رفضوا رفضاً قاطعاً عودة الشهداء قبل دخولهم إلى الحرم المقدّس، منذُ مطار بغداد الدولي ونحن نسير بإرادة الناس لا أرادتنا، فكلّ الأوقات التّي وضعناها، وكلّ البرامج التي أعددناها، تغيّرت بسبب رغبات العشّاق من المشيّعين.

عدنا مجدَّداً إلى حرم الإمام الرضاعليه السلام، وما إن وصلنا إلى الرواق الأخير ما قبل شبّاك الحرم حتّى قدموا نعش الحاجّ المهندس أوّلاً، وقالوا: هذا الشهيد ضيف علينا، ويجب أن يدخل هو أوّلاً لحرم الإمامعليه السلام شعرت هنا بالفخر والابتهاج.

أقول (أنا المؤلف):

حين كنتُ أستمع للدكتور علي الخفّاف وهو يقصُّ لي تلك القصص عن ليلة الشهادة وما تلاها من ليالي تشييع الشهداء، استوقفتني هذا القصّة الّتي يتحدّث فيها عن دخول نعش الحاجّ المهندس أوّلاً، واستذكرت ذلك الضابط العراقي المسكين، الذي رفض رفع جثمان الشهيد الحاجّ قاسم سليماني على عجلة

الشرف؛ بسبب وجود العلم الإيراني على نعش الشهيد، لكن هذا لا يمثّل إلاّ نفسه، كما نعرف أنَّ أغلب مَن يتصرَّفون هكذا هم أبناء تلك العوائل البعثيّة الّتي تكره أبناء خطّ المقاومة الذين أذاقوهم المرَّ بعد سقوط ولي نعمتهم صدام اللعين؛ فنحن شاهدنا عشرات الضبّاط والمراتب الشرفاء، قد أدَّوا التحيّة العسكريّة للشهداء وبينهم الشهيد الحاجّ قاسم سليماني.

علي الخفّاف:

عندما وصلنا إلى حرم أنيس النفوس عليها السلام، شاهدنا أنَّ الراية التي على قبّة الحرم غيّرها سدنة الحرم إلى سوداء اللون؛ حزناً على رحيل قادة النصر، كما شاهدتُ عشرات الصور للحاجّ قاسم والحاجّ المهندس رُفعت في كلّ أروقة الحرم.

ما إن انتهينا من تشييع الشهداء في مدينة مشهد حتى اتّجهنا إلى مطارها الدولي، قاصدين مطار مهر آباد، المطار الداخلي في طهران، وذلك في الساعة ١:٠٠ بعد منتصف الليل من يوم ٢٠٢٠/١/٦م، وصلنا العاصمة طهران وتمَّ استقبال الشهداء استقبالاً رسمياً، كما هو البرتوكول الرسمي لاستقبال الرؤساء وما شابه ذلك.

بعد الخروج من مطار مهر آباد، أخذوا الشهداء الأربعة الذين كانوا يرافقون الحاجّ قاسم سليماني إلى ذويهم، ونحن رافقنا الشهيدين الحاجّ قاسم والحاجّ المهندس إلى دار الحاجّ قاسم سليماني، الكائن في العاصمة طهران، مجمع الشهيد دقائقي، علماً أنَّ هذا المجمع حكومي، لا يمتلك فيه الحاجّ قاسم داراً. أخبرونا أنَّ عائلة الحاجّ المهندس ستكون مع عائلة الحاجّ قاسم سليماني في داره، وصلنا إلى دار الحاجّ قاسم عند الساعة ٣:٠٠ صباحاً، لكن وجدنا الناس تنتظر قدوم الشهداء، وكأنَّما نحن في وضح النهار لا منتصف الليل! أوقفنا العجلات في بداية الطريق المؤدّي إلى دار الحاجّ قاسم سليماني بمسافة خمسين متر تقريباً، لكن استغرق نقل نعوش الشهداء منّا أكثر من ساعة بأكملها؛ فزحام الناس الشديد قد أعاق علينا حمل الشهداء، لم نستطع المرور بالنعوش إلاّ بتدخّل قادة الحرس الثوري، حيث طلبوا من الناس أن يفسحوا

المجال من أجل تسهيل أمر وصول الجثامين الطاهرة للدار. كان الناس يهتفون بصوت واحد: (يا حسين).

تتكوّن دار الحاجّ قاسم سليماني من دورين، الدور الأوّل تحت الأرض (سرداب) وكان يقيم فيه مجالس العزاء ويسمّيه حسينية، أمّا الدور الثاني فهو لسكنه مع عائلته، أوصلنا نعش الحاج قاسم سليماني إلى عائلته، وكان في استقبالنا ابنته زينب سليماني، وبرفقتها فاطمة عماد مغنية، مع وجود زوجة الحاج قاسم وابنه، عزّيتُهم برحيل الحاجّ قاسم، وأنزلنا نعش الحاجّ المهندس إلى الحسينية، حيث وجود عائلة الحاجّ المهندس، وكان باستقبالنا الأخ محمّد الطيّب نجل الشهيد القائد الحاجّ أبي محمّد الطيّب، وصهر الحاج المهندس على أبنته، كما وجدنا عائلة الحاجّ المهندس، زوجته وبناته الأربعة وأحفاده، عزيّتُهم برحيل والدهم، وخرجنا أنا والأخ ع ـ ف لنقف في باب الحسينيّة، حتّى نستطيع منع الناس من الدخول على عائلة الحاجّ المهندس.

جاء أهل مدينة كرمان ـ وهي مسقط رأس الحاجّ قاسم سليماني ـ ووقفوا على باب داره، ومنعوا المحبّين من الوصول إلى عائلة الحاجّ قاسم سليماني، أمّا الحاجّ المهندس فليس له في مدينة طهران من عشيرته وأقربائه؛ كي يمنعوا دخول الناس للوصول إلى نعشه، فوقفنا أنا و (ع ـ ف) بمفردنا.

أصبح الوقت يمضي ولم يبقَ إلاّ القليل لبزوغ الفجر، وهناك صلاة على الشهداء بعد صلاة الفجر بإمامة آية الله العظمى السيّد القائد علي الخامنئي.

تحدّث الأخوة في الحرس الثوري مع عائلة الحاجّ قاسم فأنزلوا لهم النعش، وصاروا ينتظرون نعش الحاجّ المهندس، دخلت مجدَّداً على عائلة الحاجّ المهندس وأخبرتهم بأنَّ عائلة الحاجّ قاسم ودَّعوا نعش والدهم، والأخوة في الحرس ينتظرون نعش والدكم، فردّت عليَّ إحدى بنات الحاجّ المهندس قائله: الحاجّ قاسم قبل أيام كان مع أهله، ولم يمض عليه كثيراً عندما سافر، أمّا نحن فلم نرَ والدنا منذُ خمسة أشهر، فدعونا نودّع والدنا على مهلنا.

عندما سمعت ردَّها لم أستطع أن أسيطر على دموعي، فأنا أعرف أنَّ الحاجَّ المهندس لم يذهب إلى عائلته طيلة الوقت المذكور!

نزلت زوجة الحاج قاسم سليماني، لتقدّم العزاء إلى عائلة الحاجّ المهندس.

ولمّا انتهت عائلة الحاجّ المهندس من توديعه، سألوني عمّا تبقّى من جثمان والدهم، فأجملت لهم الحادث، ولم أتعرّض لأدق التفاصيل؛ خوفاً على مشاعرهم.

كيف أخبرهم بأنَّ جسد والدهم الذي أمامهم الآن، لم يبقَ منه إلاّ شيء يسير، فما موجود في داخل الكفن سوى ثلاث قطع صغار فقط. أمّا الباقي فهو نسيج من القطن وضعناه في الكفن؛ كي يكون الجسد أمامهم كاملاً.

أغلب قادة الحرس الثوري الكبار مع أهم قادة مفاصل الدولة حضروا معنا إلى دار الحاجّ قاسم وقدّموا العزاء لعائلة الحاجّ المهندس وعائلة الحاجّ سليماني.

خرجنا بنعوش الشهداء من مجمع الشهداء، قاصدين معراج الشهداء في طهران، لإعادة تأهيل النعوش مجدَّداً، وهذا بسبب زخم المشيّعين أمام دار الحاجّ قاسم سليماني لم يبقَ شيء على ما هو عليه، كما أنَّ عائلة الشهيدين فتحوا النعوش؛ لذلك اضطررنا لنقلهم مجدَّداً لمعراج الشهداء.

انتهينا من ترتيب نعوش الشهداء، وتحرّكنا إلى جامعة طهران، حيث مسجد ولي العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف، حسينية الإمام الخميني قدس سره.

وصل السيّد القائد علي خامنئي إلى مسجد ولي العصر، فعجّت الناس بالبكاء، حاول أن يصبّر نفسه وهو يقيم الصلاة على الشهداء، لكن لم يدم ذلك الصبر

كثيراً، فما إن ذكر جملة: «اللَّهُمَّ لا نعلم منهم إلاّ خيراً» حتّى أجهش بالبكاء على فراق حبيبيه قاسم وجمال، وقد ظهر ذلك كلّه للعالم بأسره على شاشات التلفاز.

أقول (أنا المؤلّف):

منذُ ليلة الفاجعة وأنا لا طاقة لي على استيعاب الخبر، وكنت أرجو أن يكون ذلك وهماً، وأنَّ الحاجّين قاسم وجمال، لم يستشهدا بعد، وأنَّ العجلات التّي قصفتها الطائرات الأمريكيّة هي ليست العجلات التّي شاهدوا فيها الحاجّ قاسم والحاجّ جمال؛ لذلك لم تطاوعني نفسي أن أصدّق برحيلهم، مع بكائي عليهم وحزني، لكن بقيت هكذا أظنُّ وأعيش بأمل، لكن حتّى هذا الأمل لم يدم كثيراً؛ فحين شاهدت السيّد القائد علي خامنئي يبكي وهو يقيم الصلاة على نعوش الشهداء، تيقّنت تماماً بأنَّ القادة رحلوا حقّاً، وتبدّد الأمل الذي كنتُ أقنع نفسي به.

علي الخفّاف:

انتهت الصلاة، وحملنا النعوش مجدَّداً، ومن هنا ودّع الحاجّ قاسم رفيق دربه الطويل الحاجّ جمال. أشعر وكأنَّهما لا يريدان الفراق حتّى في قبورهم.

أخذوا جثمان الشهيد القائد الحاجّ قاسم سليماني إلى مدينة كرمان شمال شرق طهران، المدينة التّي ولده فيها هذا القائد العظيم، والذي أوصى بأن يُدفن فيها بين قبور رفاقه الشهداء، ونحن حملناه جثمان الحاجّ المهندس، وعدنا مجدَّداً إلى معراج الشهداء، وبين ما نحن في طريقنا إلى معراج الشهداء،

وصلت تحاليل (DNA) التي على ضوئها فصلنا بعض القطع التّي تخص الشهداء الذين كانوا برفقة الحاجّ المهندس.

والحديث عن الأشلاء التّي استطعنا فحصها بواسطة (DNA) وإلاّ فالقطع الصغيرة كثيرة ولا نستطيع أن نميّزها بينها، لذلك قسّمناها بين جثامين الحاجّ المهندس والحاجّ سليماني، فأنا على يقين تام، بأنَّ هناك أجزاء صغيره من جسد الحاج المهندس دُفنت مع الحاجّ قاسم، كما هناك أجزاء من جسد الحاجّ سليماني دُفنت مع الحاجّ المهندس، فأنا على يقين عندما أزور قبر أيَّ واحدٍ منهما أني أزور الآخر معه في الوقت نفسه.

اليوم الخامس على التوالي وأنا لم أنم حتّى ساعة واحده فقط، ولا أعرف كيف قاومت كلّ ذلك الوقت.

فجر يوم ٢٠٢٠/١/٨م رافقنا جثمان الحاجّ المهندس، من مطار مهر آباد في طهران إلى مطار مدينة عبادان، جنوب إيران؛ لغرض العبور برّاً إلى محافظة البصرة، عبرنا منفذ الشلامجة الحدودي، وما إن وصلنا مطار عبدان حتّى خرج أهل عبادان لاستقبال جثمان الحاجّ المهندس، كنت أتوقّع بأنَّ الناس هنا مشغولة بمشاهدة مراسيم دفن الحاجّ قاسم سليماني، لكن لم يكن توقّعي في محلّه؛ فجميع الطرق أُغلقت والناس تريد تشييع الحاجّ المهندس حتّى الحدود العراقية.

كان من المقرّر الوصول إلى محافظة البصرة صباحاً، لكن لم نستطع المرور من بين الآلاف من الناس الذين قطعوا الطريق أمامنا.

حاول قائد الحرس الثوري في الأهواز مباغتة الناس؛ حتّى نستطيع المرور، لكن حتّى تلك المحاولة فشلت، فذهبنا وسط الناس كما يريدون.

خرج أهالي مدينة عبادان عن بكرة أبيهم، ومثلهم أهالي مدينة خرمشهر (المحمّرة) أيضاً، وأصبحت الطرق عبارة عن أمواج من البشر، كلّ تلك الناس بكبارها وصغارها خرجوا لتشييع جثمان شهيد عراقي لا يعرفونه سابقاً، فشعرت بالفخر والعزَّة وأنا أشاهد هذه الملايين حول نعش الحاجّ المهندس.

أقول (أنا المؤلف):

منذُ عام ١٩٨٠م حتّى هذا اليوم، أنفقت أمريكا مليارات الدولارات من أجل بثّ الفرقة والكراهية بين الشعبين، العراقي والإيراني، لكنَّها لم تفلح إطلاقاً، فإرادة الله أقوى وأكبر من أرادة الشيطان الأكبر أمريكا.

علي الخفّاف:

حينما كنّا نسير بنعوش الشهداء في محافظة الأهواز، أو مشهد المقدّسة، أو العاصمة طهران، لم نميّز إطلاقاً، بأنَّ صور الحاجّ قاسم سليماني أكثر من صور الحاجّ المهندس، فجميع الصور التّي رفعت لقائدي النصر معاً، لم يميّز هذا الشعب الطيّب بين الشهيدين على الإطلاق، كما هو كذلك في العراق.

رُفع أذان صلاة الظهر في مدينة عبادان وأنا برفقة جثمان الحاجّ المهندس، لم نصل الحدود العراقية بعد، والاتصالات من الأخوة في البصرة لا تنتهي، وأنا بمفردي لا أستطيع أن أفعل شيئاً أمام هذه الملايين.

وصلت عائلة الحاجّ المهندس إلى محافظة النجف الأشرف، ونحن لم نصل بعد إلى محافظة البصرة بسبب زخم الناس.

وبعد اللتيا والتي، وصلنا إلى معبر البصرة البرّي، حيث شاهدنا آلاف من المحبّين منتظرين منذ الفجر قدوم الشهيد المهندس، وما إن عبرنا المنفذ حتى رأينا ما لا يصدّق، وكأنَّ البصرة لم يبقَ في بيوتها أحدٌ! لم نر الشوارع والطرقات أصلاً، فكلّ الذي رأينا هو عبارة عن سيول من البشر تسير في الطرقات.

في الجمهورية الإسلامية، كنا نحمل نعوش الشهداء، على عجلة، والناس تسير خلف عجلة الشهداء، أمّا في محافظة البصرة ـ مسقط رأس الحاجّ المهندس ـ فقد حمل البصريون ابنهم البار على كفوفهم، وكأنَّه لا وجود للعجلة التّي تحمل النعش.

يتحدّث لي سائق العجلة، يقول: لم أكن أستطيع أن أحرك العجلة حيث أريد، ولم يكن لديَّ أيَّ سيطرة على مسارها، كأنَّني في قارب وأمواج البحر تتلاطم، تأخذني تارة ذات اليمين وأخرى ذات الشمال.

اتّصلت عائلة الحاجّ المهندس كثيراً، وطلبوا منّي أن أنهي مراسيم البصرة سريعاً من أجل إكمال مراسيم الدفن في النجف الأشرف بأقرب وقت؛ وذلك لأنَّ أنَّ الحاجة أمّ منار عقيلة الحاجّ المهندس متعبة كثيراً ولا تستطيع أن تنتظر أكثر من هذا الوقت.

أخبرتهم حينها بأنَّي لا أستطيع تنفيذ ما تتمنّون؛ فنحن هنا نسير حسب ما تريده الناس لا بحسب ما نخطّط له نحن!

كان من المفترض ـ بعد تشييع الحاج المهندس في محافظة البصرة ـ أن يشيّع جثمانه الطاهر أيضاً في محافظتي ميسان وذي قار، لكن تشييع مدينة عبادان،

والتأخير في محافظة البصرة، حال دون ذلك، حتّى أشيع بين عامّة الناس أنَّ المتظاهرين رفضوا تشييع الحاجّ المهندس في محافظة ذي قار، وهذا غير صحيح، السبب الحقيقي بعدم تشييع الحاجّ المهندس في ميسان وذي قار، هو التأخير الذي حصل في عبادان والبصرة، والذي سبّب لنا تأخير عائلة الحاجّ المهندس في النجف الأشرف.

حان أذان المغرب ومازالت الناس بالآلاف حول نعش الشهيد، وبشقّ الأنفس استطعنا الخروج من بين الناس إلى مطار البصرة الدولي متوجّهين إلى مطار النجف الأشرف. وصلنا ليلاً إلى النجف الأشرف، ثمّ انتقلنا إلى مكتب مديرية أمن هيئة الحشد الشعبي هناك، أبقينا جثمان الحاجّ المهندس في مديرية الأمن حتّى فجر يوم ٢٠٢٠/١/٩م.

كانت رغبت عائلة الحاجّ المهندس إكمال مراسيم الدفن بعد صلاة الفجر؛ خوفاً من أن يتكرّر مشهد التدافع وسقوط الضحايا كما حصل في مراسم الشهيد سليماني.

وبالفعل أكملنا صلاة الفجر وتوجّهنا إلى مديرية الأمن، لننقل جثمان الشهيد إلى مثواه الأخير، حملنا النعش بواسطة عجلة إسعاف، وعجلة أخرى تنقل عائلة الحاجّ المهندس، وحين وصلنا إلى مقبرة وادي السلام، وجدنا آلاف الناس تنتظر مراسيم الدفن، حتّى غصَّ المكان بهم، ولم نستطع الوصول

بجثمان الشهيد إلى القبر، وعرفنا أنَّ بعض المحبّين باتوا هنا منذ الليلة الماضية، علماً أنَّ الطقس كان بارداً للغاية، ولا يوجد أي مكان حول القبر يلوذ به الناس، فباتوا الليلة بأكملها بالعراء.

أقول (أنا المؤلف):

٢٠٢٠/١/٩م ذلك اليوم الذي لا يقلّ حزناً عن يوم رحيل قادة النصر وسادته، كانت ليلته ليلةً ذات طقس بارد قضيتُها في المقبرة الّتي سيُدفن فيها الشهيد المهندس، لكن حالي كان أفضل من حال ذلك الرجل الذي رأيته يجلس قرب أحد القبور مفترشاً التراب مع طفله، وآثار البرد بادية عليه، فقلت له: عزيزي! غداً عند الساعة السابعة صباحاً سيتم دفن جثمان الشهيد، وبما أنَّ الطقس بارد جدّاً فمن الأفضل لك أن ترحل وتأتي غداً. رفع رأسه والدموع تملأ عينيه قائلاً: أنا هنا منذ المساء وسأبقى هنا حتّى وإن بقي الجثمان وتأخّر دفنه لأيام؛ فستّ سنوات سهر فيها الحاج المهندس بكلّ فصولها من أجلنا وهو بهذا العمر، ألا يستحقّ منّا أن نبقى من أجله بالعراء ليلةً أو أكثر؟ كيف لي أن أذهب وأستريح لمجرد شعوري بالبرد؟!

فو الله منذ اليوم الذي رحل فيه أبو مهدي المهندس وأنا لم أذق طعم النوم، ولم تجف دموعي؛ لأنَّ تلك الليلة أنهت حياتنا مع حياته.

فقلت له: هل تعرف الحاجّ المهندس شخصيّاً؟

فقال: لا والله لم أعرفه معرفة شخصية، فأنا من أهالي محافظة ميسان، ولديَّ الكثير من الأصدقاء في ساحات الجهاد، وحين كنا نجتمع بعد عودتهم يتحدّثون لي عن الحاجّ أبي مهدي المهندس وعن تواضعه مع المجاهدين، وكيف يعاملهم ويناديهم (بويه) وعن روحّيته الجهادية ومخافته من الله تعالى. فمن ذلك الكلام وتلك الجلسات عشقت هذا الرجل، وصرت أُتابع كلّ ما يُكتب وينشر عنه، والله لم أرَ في وجهه إلاّ صورة للعبد الصالح المطيع لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله.

انتهى الحديث بالدموع، وأكملت مسيري بين تلك القبور للردّ على مَن يسألني عن موعد الدفن غداً.

ومن بين أولئك الشباب وكبار السن أوقفني صوت امرأة تناديني: «خاله يعني الليلة ما يدفنون الحجّي؟».

ـ «لا يمّه، باچر إن شاء الله».

ـ «يمّه أني هنا باقية ويه بتّي خو ما أضايقكم؟».

ـ «يمّه عزيزتي الجو بارد، واحنة بأوّل الليل، ومراسيم الدفن باچر، واحتمال تتأخّر بسبب زخم الناس، ليش ما تروحين هسه وتجين باچر؟».

ـ «وين أروح وأنا جايه من محافظة صلاح الدين ويه بتّي بس علمود نحضر مراسيم دفن جثمان الّلي وگف ويانه بالرجال والسلاح حتّى نرجع لبيوتنه

بسلامة وعافية، أنا هنا من أوّل الليل وراح أبقه هنا حتّى أودّع الشهيد باللحظات الأخيرة؛ لأنَّ الشهيد أعظم قائد عاصرته».

أغلب الحاضرين كانوا يظنّون أنّها من عائلة الحاجّ المهندس، لكن حين سمعوا صوتها ولهجتها تيقَّنوا أنّها من محافظة صلاح الدين.

تركتُها وذهبتُ لأجلس قرب حفرة القبر متحدّثاً مع القبر: أيُّها القبر! لا تكن ظالماً لنا وتسد باب لحدك على ذلك الوجه الجميل والقلب الطيّب، أتعلم أي جسدٍ سيضمّ لحدك اليوم؟

ربما علمت من أولئك الناس الذين باتوا بالقرب منك وهم يذرفون الدموع على لحدك قبل وصول النعش.

اعلم جيداً أنّ قلوبنا هي مَن ستُدفن هنا وليس جسد الحاجّ أبي مهدي المهندس.

عن أيّ موقف أكتب لكم؟ عن عتاب الناس وأنينهم قرب القبر في تلك الليلة، أو عن بكاء السماء علينا، حيث نزل المطر بغزارةٍ لا توصف؛ ليعبّر عن مدى حزن السماء وألمها على شهيدنا المغدور.

بقي العُشّاقُ عند قبره حتّى بزغ الفجر، وأشرقت الشمس الّتي كنّا نشعر بظلامها وهي مشرقة.

ووصل الجثمان ليحطَّ رحاله أخيراً في هذا القبر الذي أعدّه الحاج أبو مهدي المهندس لنفسه قبل الرحيل.

حين أخرجوا الجثمان من التابوت أحسست بأنَّ أرواحنا خرجت لتنزل معه في ذلك القبر، كما وشعرت بالكثير من الأرواح الصالحة تقف مستبشرةً بقدوم ذلك العبد الصالح عليهم مقطّع الأوصال، كقائدهم وملهمهم وإمامهم الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

اشتدّ بكاء الناس وأنينهم، واشتدّت دموع السماء لتمتزج مع دموعهم حتّى ابتلّت الأرض كلّها حزناً على رحيل والد الحشد وقائده.

انتهى ذلك الحلم بتيقّن الرحيل، وانتهت آمالنا، واختفت خلف ذلك التراب. وعدنا من هناك كالأيتام الذين رحل عنهم والدهم وهم ما زلوا صغاراً. ما إن انتهينا من مراسيم الدفن حتى توقّف المطر.

وارياه فيه مثواه الأخير بتاريخ ٩/ ١/ ٢٠١٩م، وأودعنا الجثمان الطاهر ليرقد هانئاً في أرضه ووطنه الذي دافع عنه طيلة أربعين عاماً.

المقبرة التي دفن فيها الحاج المهندس:

علي الخفّاف:

كان الحاجّ قاسم سليماني حين يمازح الحاج المهندس يقول له: عندما تنال وسام الشهادة، سأخذ جثمانك معي إلى طهران، وهناك في جنّة الزهراء أدفنك مع رفاقك الشهداء.

لكنَّ الحاجّ المهندس قد أوصى عائلته الكريمة، أن يتمَّ دفنه في وادي السلام، تحديداً في تلك الأرض الذي اشتراها من ماله الخاص.

ح - ض - أ:

منذُ أن عملت مع الحاج المهندس عام ٢٠٠٣م تدرّبت على أن أكتب رسالة مشفَّرة، كما تعلّمت على قراءة الرسائل بتلك الصيغة.

عام ٢٠٠٤م وصلت لي رسالة نصيّة مشفَّرة فهمتُ من محتواها أن عليَّ الذهاب غداً إلى منفذ حدود زرباطية في محافظة واسط والانتظار هناك من الساعة ١٠:٠٠ صباحاً حتّى الساعة ٤:٠٠ مساءاً.

توجّهت إلى الحدود وصرت أنتظر هناك بعد صلاة الظهر، وصل الحاج المهندس برفقة الأخ العزيز الراحل أبي زهراء الغفاري، طلب منّي الحاجّ المهندس أن أتوجّه إلى قضاء النعمانية في محافظة واسط، في الطريق فهمت أنَّ الحاجَّ المهندس ذاهب لمجلس عزاء الشهيد القائد الحاج أبي محمّد الطيّب، وما إن انتهى الحاجّ المهندس من مجلس عزاء اليوم الأوّل لرحيل الطيّب حتى طلب منّي التوجه إلى محافظة النجف الأشرف.

وصلنا إلى مدينة النجف في فجر اليوم الثاني من رحيل الطيّب انتهينا من زيارة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وتوجّهنا إلى مقبرة وادي السلام، حيث قبر السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر قدس سره، وأثناء زيارته لقبر السيّد الصدر تعرف الحاج المهندس على الدفّان السيّد زهير العميدي الذي نقل جثمان الشهيد الصدر وأخفاه لعدّة سنوات خوفاً من ضياع قبرة من

قبل أزلام صدام المجرم، وصار يتحدّث للحاجّ المهندس عن تلك المرحلة وخطورتها.

قدّم السيّد العميدي قطعةً من كفن الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر هديةً للحاجّ المهندس، أخذها الحاجّ المهندس وصار يمسح بها وجهه ويستنشق منها ذلك العطر الجميل، طلب الحاجّ المهندس من السيّد العميدي شراء قطعة أرض هنا قرب قبر الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر، فأخذنا العميدي على تلك القطعة التّي تقع خلف قبر الشهيد الصدر تماماً، وقال لنا: هذا القطعة للبيع وهنا أمامكم قبور الشهداء الذين نفّذوا عملية اغتيال المقبور عدي صدام حسن عام ١٩٩٨م في بغداد منطقة المنصور، وهناك أيضاً شهداء عملية الدوّاية المعروفة في محافظة ذي قار.

فرح الحاج المهندس كثيراً حين شاهد قبور الشهداء حول تلك القطعة وقال لي: هنا أصدقاؤنا جميعاً، وهنا والدنا الصدر.

طلب منّي الحاج المهندس شرائها فوراً، أكملت شراء القطعة، ثمّ طلب منّي التوجّه إلى محافظة واسط قضاء النعمانية، عندما وصلنا كان اليوم الثالث من مجلس عزاء الشهيد الطيّب، وما إن انتهى مجلس العزاء طلب الحاجّ المهندس من والد الشهيد الطيّب طلباً وقال له: حجّينا العزيز قبل أن أقول لك طلبي أريد أن تواعدني أن لا تردّه مهما كان.

فردّ عليه والد الشهيد الطيّب: حجّي أنت أبو مهدي المهندس لا يُرد لك طلباً حتّى وان كان متعلّق بأرواحنا. فطلب الحاج المهندس من والد الشهيد نقل جثمان ولده من مقبرتهم الخاصّة إلى المقبرة الجديدة التّي اشتراها الحاجّ المهندس.

وافق والد الشهيد فوراً، توجّهنا في اليوم الرابع من شهادة الحاجّ الطيّب إلى محافظة النجف حيث قبر الشهيد الطيّب الأوّل الذي كان قرب خطوة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في مقبرة وادي السلام القديمة، أكملنا إجراءات النقل وتمَّ نقل الجثمان إلى هذا القطعة الجديدة وهنا أوصاني الحاجّ المهندس بأن لا أدفن فيها أيَّ أحد إلاّ بطلب منه، وقال لي: وسوف أخبرك بنقل بعض الشهداء من مقابرهم الخاصّة إلى هنا حتّى أجمعهم هنا قرب شهيدنا الصدر قدس سره.

نقلنا بعض الشهداء الذين استشهدوا بعد الشهيد أبي محمّد الطيّب حتّى مُلئت بالكامل ولم يبقَ فيها إلاّ قبرٌ واحدٌ في نصف المقبرة، حينها قال الحاجّ المهندس: إنَّ هذا القبر سيكون لي أنا شخصياً، وسأوصي عائلتي بأن أدفن هنا وسط أصدقائي الشهداء.

استشهد الحاجّ المهندس ودفن هنا كما أوصانا بتلك المقبرة التّي اشتراها من أمواله الخاصّة؛ ليكون بين قبور رفاقه الشهداء (رحمهم الله جميعاً ورزقنا شفاعتهم).

رسالة المرجع الأعلى:

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة المستطاب آية الله السيّد علي الخامنئي (دامت بركاته)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لقد آلمنا كثيراً خبر استشهاد اللواء العظيم الحاجّ قاسم سليماني رحمة الله عليه.

إنَّ الدور الفريد للمرحوم في سنوات الحرب مع عناصر داعش في العراق، والأتعاب الكثيرة التّي تحمّلها في هذا المجال لا يمكن أن تنسى.

إنني أقدّم التعازي بمناسبة فقدان هذا الشهيد العزيز إلى جنابكم، وإلى أولاده المكرَّمين، وعائلته المحترمين، وجميع الشعب الإيراني الشريف، وعلى الخصوص أهالي كرمان الأعزاء وأدعو الله المنَّان أن يعلي درجات الفقيد ويمن على ذويه بالصبر الجميل والأجر الجزيل.

ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم

السيّد علي الحسيني السيستاني

٨ جمادي الأول ١٤٤١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

(انا لله وانا اليه راجعون)

جناب مستطاب آية الله آقای خامنه‌ای دامت برکاته

السلام علیکم و رحمة الله و برکاته

خبر شهادت سردار عالیقدر آقای حاج قاسم سلیمانی رحمة الله علیه موجب تأسف و تأثر فراوان شد. نقش کم نظیر آن مرحوم در طی سالیان پیکار با عناصر داعش در عراق، و زحمات فراوانی را که در این راستا متحمل شدند فراموش ناشدنی است.

اینجانب ضایعه فقدان آن شهید والامقام را به جنابعالی و به فرزندان مکرم و دیگر بستگان محترمشان و به همه ملت شریف ایران به ویژه به مردم عزیز کرمان تسلیت عرض نموده، و از خداوند منان برای آن فقید سعید علو درجات و برای بازماندگان صبر جمیل و أجر جزیل مسألت دارم. ولا حول ولا قوة الا بالله العلی العظیم.

١٤/٨
١٤٤١هـ

علي الحسيني السيستاني

صورة للرسالة الاصلية التي كتبت باللغة الفارسية

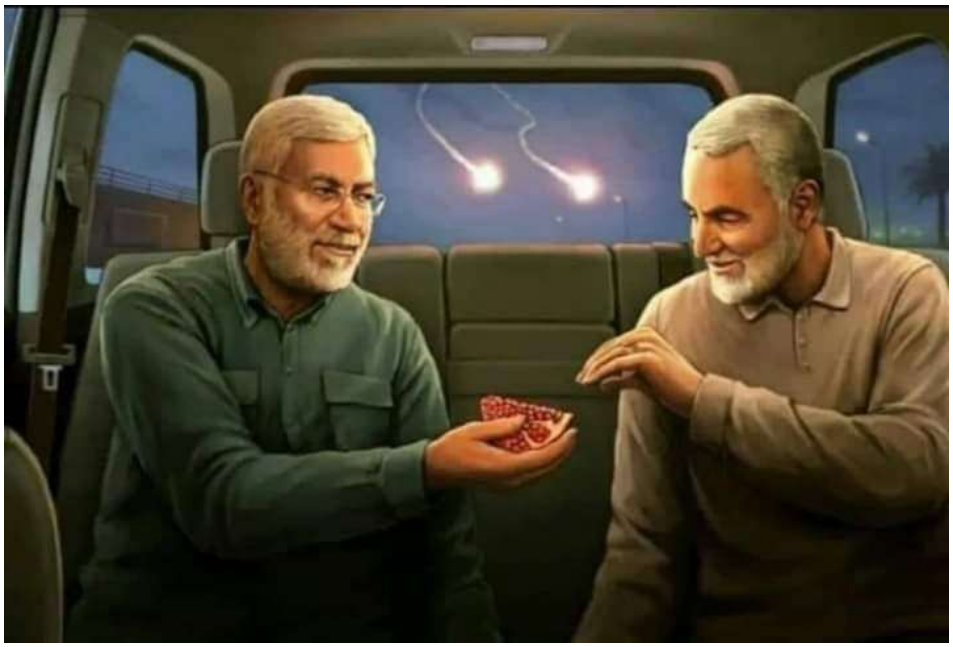

مَن هو الخائن؟

أ- ح:

عندما وصلنا في الساعة ١٢:٠٠ صباحاً إلى مطار بغداد الدولي برفقة الحاجّ المهندس، كان طريق المطار مفتوحاً وحركة المسافرين طبيعية جدّاً، لكن في الساعة ١٢:٣٠ صباحاً، قبل تنفيذ الضربة بسبع دقائق فقط، قُطع طريق المطار ذهاباً وإياباً، وهذا يدلُّ على أنَّ قوات الاحتلال الأمريكي كان لها شريك على الأرض وعراقي الجنسيّة.

في تلك الليلة المشؤومة لم يعمل الاحتلال الأمريكي وحده إطلاقاً، بل كان معه عشرات الأفراد من أجهزة أمنيّة عراقيّة خاصّة، ففي تلك الليلة حصلت خيانة كبرى.

المقطع الذي صور وبثّ عبره مواقع التواصل الاجتماعي للعجلات وهي تحترق قبل وصول أي أحد كانت بواسطة عناصر من جهاز أمني عراقي خاص.

كذلك توفرت لدينا معلومات شبه مؤكّدة أنَّ هناك فريقاً أمنيّاً عراقياً برفقة عناصر من قوات الاحتلال الأمريكي تحرَّكوا اتجاه عجلات قادة النصر بعد ثواني من تنفيذ الضربة.

الحاج أبو فوّاز المالكي:

نحن على يقين بأنَّ دم المسلم لا يذهب سدى مهما حدث، ومهما عملوا على تغيير الحقيقة سوف يكشف الله حقيقتهم ومكرهم، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[1].

في ذات اليوم وتلك الساعة التي لا يعرف فيها الصديق من العدو جاءني أحد الجنود الأبطال من الجيش العراقي وطلب الحديث معي على انفرد، ذهبت معه بعيداً عن مكان الحادث وقلت له تفضّل يا أخي، قال: أنا أعرفك معرفةً شخصيّةً؛ لذلك سأكون مطمئناً حين أتحدّث لك عن الذي رأيته قبل وبعد القصف لتلك العجلات.

(١) سورة الأنفال: ٣٠.

قال الجندي: كنت في أحد أبراج الحماية التي تقع على الجانب الآخر من الطريق أقوم بواجبي العسكري في عام ٢٠١٧م تمَّ أخلاء الأبراج التّي تقابل أبراجنا من القوات الأمنية العراقية التي كانت مكلّفة بالحماية هنا؛ وذلك بسبب أنَّ أحد الجنود استخدم إشارة الليزر على إحدى الطائرات المدنية التي تريد الهبوط في مطار بغداد الدولي، كانت الطائرة خليجية، فتقدّت شركة الطيران بشكوى على أساسها تمَّ إلغاء تلك الأبراج.

قبل القصف الصاروخي بدقيقة واحدة فقط شاهدت إشارة خضراء اللون ناتجة عن ليزر متوجّه لتلك العجلات أثناء مسيرهما في الطريق، كانت الإشارة من ذلك البرج تحديداً.

الذي لفت انتباهي هو أنَّ هذه الأبراج لا أحد فيها منذُ ثلاث سنوات وهي خالية مهجورة بالكامل! وبينما أنا أتساءل مع نفسي عن مصدر الضوء، قُصفت العجلة الأولى بصاروخ واحد، ثمّ العجلة الثانية بصاروخين، وبعد ثواني من دوي الانفجار الثلاثي، أطلق النار على العجلة الثانية، وكان إطلاق النار من طائرة، لكن لا أعلم إن كانت مسيّرة أم لا.

بعد توقّف إطلاق النار على العجلات المستهدفة، وصلت عجلة سوداء اللون نوع سوبر بان أمريكية الصنع، ترجل منها أربع أشخاص كانوا

يرتدون (شفقة) على رؤوسهم وكمّامات على وجوهم، لم يبقوا أكثر من خمس دقائق فقط قرب العجلات المشتعلة، ثمّ باشروا بالانسحاب، متّجهين بطريق الخروج من المطار (عكس السير) لجهة مطار بغداد الدولي، وبعدهم وصلت عجلات النجدة وأمن المطار إلى موقع الحادث.

انتهى حديث الجندي البطل، لكن تركني في حيرةٍ من أمري متسائلاً كيف تكون الأبراج خالية من الجنود منذ ثلاث سنوات، وهو يقسم لي أنّه شاهد إشارة ليزر تتّجه صوب العجلات التي استهدفت؟ ومَن كان في تلك العجلة التي وصلت وانسحبت قبل وصول أي شخصٍ آخر إلى موقع الحادث؟ لماذا كامرات طريق المطار متوقّفة؟

من هي الجهة الّتي أمرت بقطع الطريق أمام المسافرين قبل وقوع الحادث بدقائق؟

أثناء بحث فريق الأدلّة الجنائية حول موقع الحادث عثروا على إطلاقات من عيار ٥/ ١ ملم في الحديقة الّتي تقع في الجزرة الوسطية على طريق مطار بغداد الدولي، هنا تيقّنا بأنَّ حديث ذلك الجندي البطل كان صحيحاً، وأنَّ عجلات القادة تعرّضت لإطلاق نار بعد قصفها بصاروخين.

كلّفنا الشباب بالدخول إلى البرج المعني الذي أشار إليه الجندي، وفعلاً وجدنا أثار تدلّ على أنَّ البرج كان مستخدماً أثناء استهداف العجلات، حيث عثرنا على بطاريات صغيرة الحجم حديثة الصنع، كما عثرنا على غطاء (البطانية) كانت مستخدمة للعنصر الذي كان مكلّفاً بتشخيص عجلات القادة عبر الليزر، استخدم الغطاء بسبب برودة الجو؛ إذ الطقس باردٌ في العراق في شهر كانون الثاني.

قمنا بمتابعة موضوع العجلة التّي وصلت منذ الدقائق الأولى لموقع الحادث، وتبيّن لنا أنَّها وصلت إلى مطار بغداد الدولي قبل يومٍ واحد من عملية الاغتيال، وكانت متوقّفة في قسم الشحن الجوي، وهي تابعة لجهاز أمني عراقي.

أثناء استماعنا لشهادة الأخوة في مكتب العلاقات العامة التابع لهيئة الحشد الشعبي، قصَّ لنا أحدهم هذه القصة، قال: قبل هبوط الطائرة ــ التي على متنها الحاجّ قاسم سليماني ورفاقه ــ على مدرج المطار، ووقوفها في المكان الخاصّ الذي يترجّل فيه الحاجّ قاسم سليماني ورفاقه، شاهد الشهيد حسن مقاومة أحد ضبّاط جهاز أمني عراقي، يراقب بواسطة ناظور عسكري المكان المخصَّص لاستقبال الحاجّ قاسم سليماني، وكان ضابط الجهاز يقف في صالة أحد المطاعم في الطابق الثاني للمطار.

سأل حسن ذلك الضابط عن سبب مراقبته للمكان فقال له: لا أنا هنا ليس من أجل المراقبة، بل كنت أجرّب هذا الناظور الذي وصل لي هدية، لم يقتنع الشهيد حسن بالإجابة؛ لذلك أوصاني أن أخبركم إذا حدث أي شيءٍ معهم أن أخبركم بأنَّ هذا الضابط كان يراقب عجلاتنا ومكان توقف الحاجّ قاسم سليماني.

ورد اسم هذا الضابط في التحقيق بعد الحادثة، وتمَّ التحقيق معه لكنَّه نفى ما ورد أعلاه! ولكن بعد أيام من شهادة القادة كُلّف هذا الضابط بمنصب ملحق عسكري أو ما شابه ذلك في إحدى السفارات العراقية في إحدى الدول الأوربّية!

علماً أنَّ تقرير اللجنة الأمنية التي شكّلها رئيس الوزراء السابق الدكتور عادل عبد المهدي، أثبتت أنَّ هناك عنصراً بشريّاً عراقي الجنسية، كان يراقب على الأرض، لكن لم يتّضح لنا حتّى الآن مَن هم وإلى أيّ جهاز أمني يعملون؟

أ- ح:

بتاريخ ٢٠٢٠/١/٥م اتَّصل بي الضابط الذي أخبرني بمعلومة الضربة، وهو يلومني لماذا خرجوا؟ قلت لكم: هناك ضربه لماذا لم تصدّقوني؟

كما هو معلوم لدى جميع الأخوة الذين عملوا مع الحاجّ المهندس، أو يعرفون الحاجّ المهندس شخصياً، يعرفون بأنَّ الحاجَّ المهندس لا

يخضع إلى أرادة المرافقين، أو يسير بما يريدون مهما كان، حتّى عندما كنا نقول له: أنَّ هناك خطراً ويجب أن نستقلَّ هذه العجلة المصفّحة يرفض، كان يرفض دور المرافقين الذي هو معلوم لدى الناس الأمنيين.

عندما أخبرت الحاجَّ المهندس بتلك المعلومة التّي أخبرني عنها الضابط، لم يتخذ الحاجّ المهندس أي أجراء احترازي، وكأنَّه لم يسمعها إطلاقاً، حتى استغربت من ذلك، فأنا أتحدَّث له عن قصف محتمل بعد دقائق، وهو يسألني لماذا لم أتزوّج حتّى الآن!

بتاريخ ٢٠٢٠/١/٢م المصادف يوم الخميس، بعد صلاة الظهر، جاء محمّد رضا الجابري إلى دار الحاجّ المهندس، ترك هاتفه في الطابق الأوّل وصعد هو بمفرده للحاجّ المهندس، جلسوا معاً في الغرفة الخاصّة للحاج المهندس، ولم أسمع ماذا قال له، لكن حتماً كان شيئاً مهماً؛ لأنَّ محمّد رضا لا يأتي إلاّ إذا الحاجّ طلبه، وإذا جاءه بلا أي موعد مسبق فهذا يعني قد حصل شيء لا محال.

ع - س:

لدينا معلومات استخباراتية شبه مؤكّدة أنَّ هناك أكثر من ثلاثين ضابط عراقي من جهاز أمني خاص اشتركوا فعلياً بجريمة المطار التي رحل فيها قادة النصر ورفاقهم.

علي الخفّاف:

لم نجد كلّ مقتنيات الشهداء بالرغم من أنَّ هناك فيديوهات مصوَّرة تثبت أنَّ بعض المقتنيات كانت موجودة، لكن قبل وصولنا بدقائق اختفت.

طالبنا من جهات أمنية عراقية كانت قد وصلت قبلنا إلى موقع الحادث الكشف عن بعض المقتنيات التي فقدت فنفوا بشكل قاطع أنَّهم قد أخذو أي شيء من مقتنيات الشهداء، وبعد البحث بالفيديوهات المصوَّرة من قبلهم، تبيّن أنَّ هناك مقتنيات تظهر في التصوير ولكن لا يوجد لها أي أثر على أرض الواقع.

وبعد مواجهتهم بالأدلّة اعترفوا على بعض المقتنيات، مثل الجوازات، والأموال، وما شابه ذلك، وقالوا: إنَّهم قد أخذوا بعضها لغرض الأدلّة.

علماً أنّنا نعلم جيداً أنَّه مازال لديهم أشياء مهمّه جدّاً، لكن لا يوجد لدينا دليل أكثر من هذا.

ومن اهم تلك المقتنيات التّي فقدت في ليلة الشهادة، كتاب مذكّرات الحاجّ قاسم سليماني، فدائماً يكون معه وكثيراً ما يكتب فيه كلّ شيء، وهو مغلَّف بالجلد الطبيعي، وكان الكتاب على وشك أن ينتهي منه، كما أخبرتنا ابنته زينب سليماني.

ع - س:

منذُ أن عملنا على مقاومة الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣م نعلم جيداً أنَّ أمريكا مهما فعلت بكلّ تقنياتها التي تستخدمها، لا يمكنها أن تكتشف بنفسها أيّ عملية، ونعلم أنَّها كانت تبحث عن الحاجّ المهندس منذ عام ١٩٨٢م ولم تحصل على أيّ شيء؛ لذلك عملت على تأسيس جيش من العملاء حتّى يستطيعوا الحصول على ما يريدون، ولا يشترط أن يكون ذلك العميل هو شخص مفرَّغ للعمالة، فبعض عملائهم ضبّاط وبعضهم من السياسيين والإعلاميين وحتى من رجال الدين.

لذلك هي تحتاج في هكذا عملية ـ لاغتيال أعظم قائدين ـ إلى عشرات العملاء على الأرض حتّى يستطيعوا تحقيقها، وبما أنَّ موقع العملية كان في مكان حسّاس لا يستطيع أي شخص الوصول إليه استخدموا عملاء لديهم هويّات وباجات عسكرية؛ حتّى لا يُسألوا ويتحرّكوا بحرّية كاملة.

كي تتضح الصورة:

بعض الأخوة من محبّي الشهيد القائد الحاج أبي مهدي المهندس كانوا يظنّون أنَّ شهادة الحاجّ المهندس جاءت اتّفاقاً مع مجيء الحاج الحبيب قاسم سليماني إلى بغداد في تلك الليلة، وأنَّه لم يكن في استقباله لم يستشهد معه؛ لأنَّه لم يكن مقصوداً!

هذا الكلام كلام مَن لم يطّلع على تاريخ الحاجّ المهندس ومقاومته لقوات الاحتلال الأمريكي في العراق، وإلاّ فالمطالع يدرك جيّداً أنَّ أمريكا قد وضعت الحاجّ المهندس على قائمتها السوداء منذ أوّل يوم قاومهم فيه وهو في بداية عقد الثمانينات من القرن الماضي.

في كتاب منهل الجهاد الذي أتحدّث فيه عن سيرة الشهيد القائد الحاج أبي منتظر المحمّداوي، تجدون كيف اغتالت أمريكا المحمّداوي عام ٢٠١٥م وكيف استفادت من جغرافية المنطقة ودخول داعش لتصفية أناس كانوا يبحثون عنهم لسنوات.

كما ستجدون في نفس الكتاب كيف اغتالت أمريكا أحد ضبّاطنا الكبار الذي كان من ضبّاط المقاومة الإسلامية ومن ذو الاختصاص والخبرة الكبيرة بإطلاق الصواريخ على قواعد قوات الاحتلال، فرأت أمريكا عمليات تحرير محافظة نينوى ذريعةً لتصفية الدراجي ورفاقه عام ٢٠١٧م بصاروخ موجّه من طائرة مسيّرة، وكتبت الحكومة العراقية عنهم، وأنَّهم استشهدوا نتيجة قصف صاروخي من طائرة مسيّرة داعشية! وهو ما أضحك المقرَّبين منهم، وبقوا صامتين عن الحديث في حقيقة الأمر؛ لأنَّ قوات الاحتلال لا ينفع معها الحديث، الذي ينفع معها ويكسر شوكتها المقاومة والرد بالمثل، وإلاّ فالرد الرسمي والاستنكار لا ينفع في شيءٍ. ومع ذلك أغلب السياسيين العراقيين لا يستطيعون أن يقولون للأمريكان المثل العراقي الدارج (على عينكم حاجب) فالجميع يخضع لهم؛ خوفاً على منصبه، كما يخشون من أن تتحدَّث أمريكا عن فسادهم إن تحدَّثوا وطالبوا بدماء الشهداء.

وحتى تتّضح لديكم الصورة أكثر عن شهادة الحاجّ المهندس، سأحدّثكم عن ذلك الموقف الذي كان فيه الأخ العزيز سجّاد الوائلي شاهداً ونقله لي، وكتبته أنا ونشرته عام ٢٠١٩م واطَّلع عليه الحاجّ المهندس شخصيّاً.

يقول: الرائد الطيّار (--): عندما ينادى علينا لأحد الواجبات نعرف سريعاً ماذا يراد من هذا الواجب.

وحين نسمع أنَّ الواجب هو استطلاع جوّي مع قادة عسكريين يتسابق الجميع لهذا الواجب، لكن لم تدم الفرحة كثيراً على أغلب الزملاء، حين يمر عليهم اسم الحاجّ المهندس في الاستطلاعات الجوية.

سجّاد: لماذا الحاجّ المهندس تحديداً؟

الطيّار: سأقولها لك وللأمانة: أغلب الطيّارين يرفضون الطيران مع الحاجّ المهندس حتّى وإن كان الواجب نقلاً جويّاً من محافظة إلى أخرى أو بين القطعات العسكرية!

سجّاد: طيّب لماذا هذا الرفض؟

الطيّار: عندما يكون الحاجّ المهندس برفقتنا فالقوات الأمريكيّة تكون على علم بالواجب.

وهذه لا تعتبر معلومة سرّية؛ فالجميع يعلم أنَّ أمريكا وتحالفها بالعراق على دراية كاملة بكلّ طلعاتنا الجوية؛ لذلك حين يكون معنا الحاجّ

المهندس، تحلّق على ارتفاع منّا الطائرات الأمريكية، وتبقى برفقتنا حتى نهاية الواجب.

تكرّر هذا الموقف كثيراً، حتّى تيقّنا تماماً بأنّه حين يكون الحاجّ المهندس برفقتنا ترافقنا الطائرات الأمريكيّة.

سجّاد: إذن أين تكمن المشكلة؟ إذا أمريكا على دراية تامّة بكلّ طيراننا، فلماذا يرفض بعض الطيّارين الواجب حين يكون مع الحاجّ المهندس؟

الطيّار: عزيزي! كلّ الطيّارين يعلمون جيّداً أنَّ مهمّة الطائرات الأمريكيّة هي متابعة الحاجّ المهندس، كما ويعلمون بأنَّهم في مرمى الأمريكان في حال وجود الحاج المهندس معهم، ومن الطبيعي جدّاً سوف يسقطون الطائرة ويقولون عن الحادث: خلل فنّي!

سجّاد: يعني أنت على دراية تامّة بأنَّك ربما تستشهد بسبب مرافقتك للحاجّ المهندس؟

الطيّار: نعم والله أعلم علم اليقين بهذا الأمر، وأنَّه من الممكن أن يحدث في أي ساعة حيث تستهدف طائرتي بسبب وجود الحاجّ المهندس معي.

لكن أنا والبعض من الضبّاط نحب هذا الرجل كثيراً، ونحب أن نكون معه حتى وإن كان الموت حتميّاً.

أقول (أنا المؤلّف):

الآن تيقّنتم بأنَّ استشهاد الحاجّ المهندس كان حتميّاً سواء جاءه الحاجّ سليماني أم لا.

وحتى أكون أكثر صراحةً معكم أغلب السياسيين الشيعة يجاملون على قول الحقيقة، ولم يأخذوا أيَّ قرار شجاع بخصوص قوات الاحتلال، وسأكتب لكم ما أخبرني به الأخ العزيز النائب حسن فدعم.

يقول الحاج حسن فدعم: قبل الذكرى الأولى لشهادة الحاجّ المهندس أتفقنا أنا والأخ النائب يوسف الكلابي، أن نستخدم حصانتنا وحقّنا الدستوري ونقف في يوم ذكرى شهادة قادة النصر أمام سفارة الشيطان الأكبر أمريكا، ونرفع لافتات تندّد بجريمتهم، وتكون اللافتات باللغتين الإنكليزية والعربية مع صور الشهيدين القائدين الحبيبين الحاجّ المهندس والحاجّ سليماني، كتبنا ما نريد فعله في ذكرى الاستشهاد في كروب نواب الشيعة الذي يتواجد به أكثر من ٢٠٠ نائب شيعي.

لم يرد على مقترحنا السلمي سوى نائب واحد من الأخوات، نائبة عن محافظة واسط! مع اطّلاع أغلب النوّاب على ما اقترحنا أنا والأخ يوسف الكلابي في الكروب.

خرجنا و وقفنا ورفعنا الصور، وتعذَّر على الأخت الحضور بسبب زحام الطرق، ووصلت بوقت متأخر، انتشرت تلك الصور على جميع المواقع الأجنبية والصحف العالمية.

لكن يا عزيزي أبو لواء الذي أثار استغرابي أنَّ أمريكا لم ترد علينا، بل الذي ردَّ هو الأخوة من السياسيين الشيعة، الذين قالوا: إنَّ هذا القرار خطأ، وأنَّ مردوده سوف يكون سلبيّاً عليكم! وأحدهم قال لي نصاً: بسبب وقوفك أمام السفارة ستحلم أن تحصل على منصب بعد اليوم في العراق.

ابتسمت وقلت له: منصب ومن قوات الاحتلال لا أريده، أنا أعتبر الحاجّ المهندس والدي، وأنا أيضاً والدي شهيد؛ لذلك كنت أقف أمام السفارة وأنا أشعر بأنّي أُطالب بثأر والدي و الحاجّ المهندس معاً.

أنا وريثك:

مهنّد العقابي:

كنت أمازح الحاج المهندس كثيراً، وفي كلّ مرَّة أقول له: (حجّي) عندما تنال وسام الشهادة أنا وريثك، يبتسم ويسألني ماذا تورث منّي؟ أقول له: كلّ مقتنياتك ورثي، ملابسك، مسبحتك، خواتيمك، حتّى أحذيتك وجواربك أخذهم لي، يبقى يبتسم في كلّ مرَّة.

فكثيراً ما كان يجمع لي ما تبقّى من بدلاته العسكرية، والخواتم والسبح التّي تأتي له كهدايا ويسلّمها لي، وأحياناً يقول لي: هذا القميص لك أنت شخصياً البسه.

ذات يوم أهداني الحاجّ المهندس حذاءً جديداً، كانت صغيره على قدمه، فأنا أعرف أنَّ قياس قدم الحاجّ المهندس هي (٤٣) وقياس قدمي(٤٢) فقال لي حينها: هذا الحذاء لك؛ لأنَّه صغير على قدمي، خذها لك واستخدمها أنت، فأنا لم أستخدمها بعد. أخذتها واستخدمتها، وبعد أيام شاهدت الحاجّ المهندس يرتدي حذاء تشبه التي أهداها لي تماماً، فعلمت أنّه اقتنى حذاء أخرى بقياس أكبر.

بتاريخ ٢٠١٩/١٢/١٨م كنت حاضراً في إحدى الاجتماعات العسكرية بدار الحاجّ المهندس، وكان من بين الحاضرين الحاجّ قاسم سليماني، انتهى الاجتماع بعد منتصف الليل، وخرج الجميع وبقيت أنا والحاجّ قاسم سليماني نتحدّث معاً حتّى تأخّر الوقت كثيراً، وقال لي: أنّه متعب وسيخلد للنوم.

خرجت وارتديت حذائي وغادرت دار الحاجّ المهندس، وأنا في طريقي إلى داري شعرت بأنَّ الحذاء التّي أرتديتها أكبر من الحذاء التّي كنت أرتديها، وفي اليوم الثاني علمت من الإخوة الحرس أنَّ الحاجّ المهندس ارتدى حذائي بالخطأ وأنَّي أخذت حذاءه مكانه.

في ليلة الاستشهاد ارتدى الحاجّ المهندس حذائي وقال للأخوة الذين معه في الدار: إنَّ هذا الحذاء صغيرة عليه، حينها أخبره الأخ علي الخفّاف بأنَّ حذائه قد تبدّلت مع حذاء مهنّد العقابي.

علي الخفّاف:

حين كنت أبحث عن أي شيء يدلّني على جثمان الحاجّ المهندس مع الشهداء بحثت حتّى عن الحذاء الذي يرتديها، فأنا كنت حافظاً لتفاصيلها بسبب موقف تغيّرها مع حذاء الحاجّ مهنّد العقابي.

لكن أقولها ـ وأنا قلبي يعتصر ألماً ـ حتّى الحذاء الذي كان يرتديها الحاجّ المهندس لم يبقى له أثر؛ فالصواريخ التي استخدمت بعميلة الاغتيال لم تبقِ شيئاً إلاّ ومزّقته.

والدة الشهيد علي حيدر:

مرَّ عامٌ كاملٌ على شهادة ولدي عليّ، وما زال الناس يسألوني ألم يبرد قلبك على علي بعد؟

أقول لهم: كيف يبرد القلب الذي فقد مهجته؟!

فعليٌّ لم يكن ولدي فقط، بل كان كلّ شيء بالنسبة لي، كنت أرِه والدي، وأخي، وابني، وأهلي جميعاً، حتّى وإن مضى على شهادة عليّ ألف عامٍ لا يمكن لي أن أنساه للحظة واحدة.

أنا ما زلت أشعر بأنَّ عليّاً مازال يعيش معنا حتى الآن، كلّ يوم أقف أمام الصورة وأتحدّث معه وأطلب منه ما أريد، وقسماً بالله ودم ولدي

الذي رحل في ريعان شبابه مقطَّعاً؛ لم أطلب منه طلباً ولم يُقض لي حتى الآن.

كنت أنتظر يوم نزول ولدي علي لبيتنا؛ كي أعدَّ له الطعام الذي يحبّه! والله منذ استشهاده وحتى الآن لم أقم بإعداد الطعام إلاّ ومعه من الأكلات التّي كان يحبّها؛ لأني على يقين بأنَّه معنا ويشاركنا في طعامنا؛ فقد أخبر شقيقته في المنام أنَّه ما زال يعيش معنا وهو شهيد.

عندما كنت أذهب للتسوّق كان يوصيني علي أن أشتري له بعض ما يحتاجه، وإلى الآن حين أمر بالسوق أشتري تلك الحاجات التي كان يوصيني بها و أضعها في غرفته وأشعر بأنَّه حيٌّ ويستخدمهما.

أنا حزينة جدّاً على فراق ولدي، ومشتاقة إلى أن أضمّه في أحضاني، لكن لم أنسَ قول السيّدة زينب عليها السلام حين قالت:« اللهم تقبّل منّا هذا القربان»، فهو الذي يخفّف عنّي ألم.

عليٌّ وُفق في كلّ شيء، حتى في الشهادة، فحين نال وسام الشهادة كان مع مَن يحبّ؛ حيث اختلط دمه مع دماء الحاجّ المهندس والحاجّ قاسم سليماني، وهو يحبّهما كثيراً، بل لم أرِه طيلة حياته أنَّه تعلّق بحبّ شخص كما تعلّق بالحاجّين المهندس وسليماني.

أقول (أنا المؤلف):

عندما كنت أستمع لحديث والدة الشهيد علي حيدر ـ وهي تتحدّث عن ولدها الجميل وكيف أستشهد مقطّعاً مع قادة النصر ـ أختنق بعبرتي وأشعر بأنّي لا أستطيع حتى التنفس، لكن كنت أحاول جاهداً أن أبقى مسيطراً على نفسي؛ كي أستطيع أن أكتب لكم كلّ شيء.

وهي تتحدّث عن ولدها ومدى الحزن الذي تشعر به، استذكرت هذه الأبيات للمرحوم السيّد صالح الحلي رحمه الله حيث يقول على لسان رملة والدة شباب كربلاء القاسم عليه السلام.

مُرَمَّلاً مذْ رأتْهُ رَملة ٌ صَرَخَتْ ... يا مهجتي وسروري يا ضيا بَصري

خلّفْتَ والدةً ولهى مُحيَّرةً ... مدهوشةً ليسَ مِنْ حامٍ ومُنتصر

بني تقضي على شاطي الفراتِ ظَماً ... والماءَ أشربُهُ صفواً بلا كَدرِ

بُنيَّ في لوعةٍ خَلّفْتَ والدةً ... ترعى نجومَ الدّجى في الليل بالسّهَرِ

❖ ❖ ❖

تشرين أولادنا:

ر- خ- هـ:

لم يكن لي أيّ غاية حين طلبت من الحاج المهندس أن نقوم بتشييع شهداء قضاء القائم في ساحة التحرير، وقلت حينها للحاجّ المهندس: فليشاهد شباب تشرين شهدائنا، وكيف أنَّهم قُتلوا على يدي أمريكا التي تدّعي أمامهم دفاعها عن المظلومين. رفض الحاجّ المهندس كلامي هذا رفضاً قاطعاً، وقال لي: عزيزي يا حاج! هكذا تصرّف ليس صحيحاً، بل ربّما يتحوّل إلى كارثة؛ فشباب تشرين أولادنا، وهم منّا لا

نريد أن نخسر أيَّ واحد منهم، ومن المستحيل أن أوافق على هكذا طلب، فمن الممكن أن يتحوّل من إيجابي إلى سلبي، وتذهب فيه أرواح أناس أبرياء لا دخل لهم في الذي يجري.

أمريكا شرٌّ مطلق:

أ- ح:

كان الحاجّ المهندس يكثر من قوله: «إنَّ أمريكا شرٌّ مطلق، وهي عدوّة العراق والعراقيين والأمّة الإسلامية» وكان يقول: «في أزمتنا مع داعش تخلّت أمريكا عنّا، بل وتخلّى التحالف الدولي كذلك، لم يقف معنا

سوى الحاجّ قاسم سليماني والجمهورية الإسلامية التي وصل دعمها لنا في أوّل ليلة من دخول داعش».

كان كثيراً يذكر هذا الحديث في أي محفل أو مناسبة، وكان يقول لنا: «هذا للتاريخ، ولا بدَّ أن يُذكر ويُكتب حتى يبقى شاهداً للتاريخ».

المرافق الشخصي:

أ- ح:

كنت أعيش في وضع نفسي لا أُحسد عليه، كأنَّي في عالم غريب، عالم لا يوجد فيه أمان بعد رحيل الحاجّ المهندس، وفي كلّ ليلة عندما

أضع رأسي على الوسادة، أتذكّر تلك الليلة التّي رحل فيها من كان يناديا (بويه) كما إني كنتُ أغبطُ الشباب الذين رحلوا شهداء مع الحاجّ المهندس والحاج قاسم سليماني، ودائماً أقولها: هم أفضل منّا جميعاً؛ لذلك وفّقهم الله تعالى لهكذا شهادة ولم يوفّقنا نحن.

هناك من الناس مَن لامني على ترك الحاجّ المهندس! مع أنّي لم أتركه أبداً، بل كنتُ مطيعاً لأوامره، وهو قائدنا، وقد أمرنا أن نبقى هنا.

ولو كان الأمر بيدي وخُيّرتُ أن أموت ألف مرَّة، ويُقطَّع جثماني في كلّ مرَّة من دون أن تُمسّ شيبة من شيبات الحاجّ المهندس، فقسماً بالله، أوافق من دون أن يرفّ لي جفن.

الثأر

لم يؤخذ بعد!!!

❖ ❖ ❖

النهاية:

لم أشعر بطعم الفرح حين أتممت كتابي هذا؛ لأنَّي ما زلت أعتقد بأنَّ هذا الكتاب لم يكتمل بعد كما كنت أحب، فأنا هنا كتبت عن كلّ شيء، من العدوان الأمريكي، على مجاهدينا الأبطال في قضاء القائم، حتّى ذلك الصباح المظلم الذي دُفن فيه الحبيب في وادي السلام،

وكنت بأمل قبل أن أنهي هذا الكتاب أن يؤخذ الثأر، وأكتب في كتابي هذا قصّة بعنون الثأر، وأبقى أتحدّث عن تفاصيل الثأر، وكيف أُخذ وماذا حقّق لنا من ثمرات. لكن للأسف انتهى الكتاب وأنا الآن على مشارف النهاية، ولم أكتب عن ثأرهم شيء، لكن أنا متيقّن تماماً أن الحاجّين قاسم وجمال، أخذوا ثأرهم من الاحتلال الأمريكي قبل رحيلهم بعشرات السنوات، وأذاقوهم الويل والهوان.

سأبقى بأمل لا يقلّ عن أمل ذوي الشهداء، الذين استشهد أبناؤهم مع قادة النصر، بأنَّ الثأر قادم لا محال، فمدرسة الأبطال التّي أسَّسها قاسم الجبّارين وجمال الشهداء، خرَّجت لنا آلاف الأبطال الذين سيأخذون الثأر حتّى وإن مرَّ عليه ألف عام.

تمَّ الكتاب بحمد الله تعالى

اللحظات الأخيرة قبيل غروب الشمس من يوم الجمعة

المصادف ليوم ميلاد السيّدة زينب عليها السلام، السيّدة التي دافع عن

حرمها شهداؤنا عموماً

والشهيدان الحبيبان خصوصاً

٥/ جمادى الأولى ١٤٤٣هـ الموافق ١٠/ ١٢/ ٢٠٢١م

أبو لواء البهادلي

الملحق الصوري

صور لعجلة قادة النصر بعد استهدافها من قبل قوات الإحتلال الأمريكي

صور لعجلة المرافقين لقادة النصر بعد استهدافها من قبل قوات الإحتلال الأمريكي

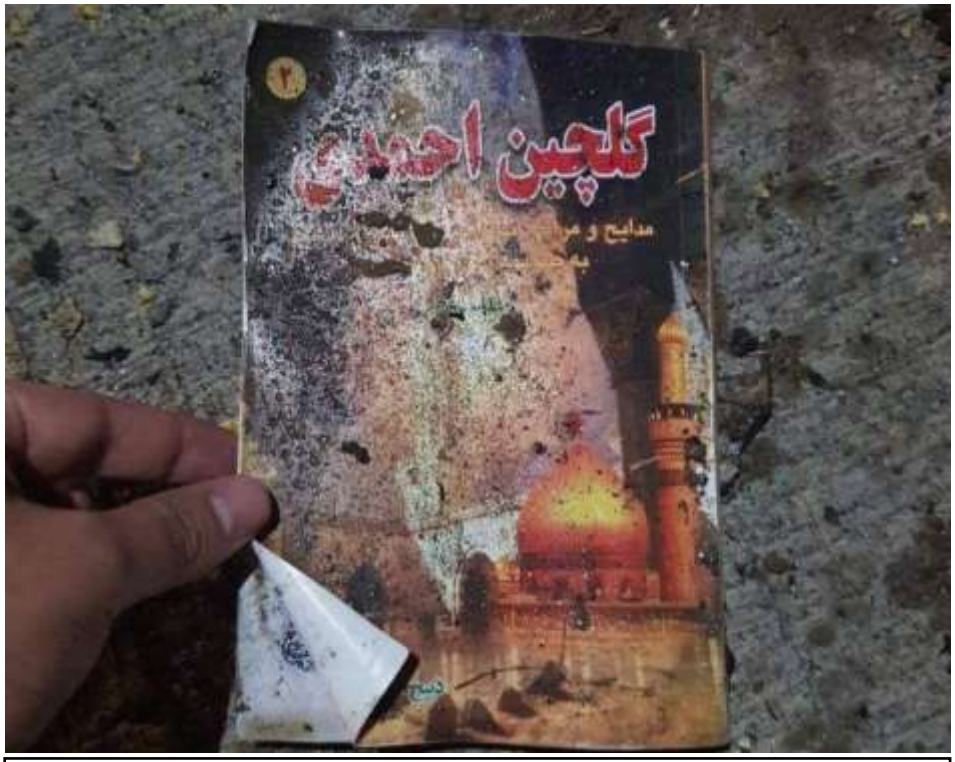

صور لمقتنيات شهداء فاجعة المطار

صور السلاح الشخصي لمرافقي قادة النصر

صور مقتنيات شهداء فاجعة المطار

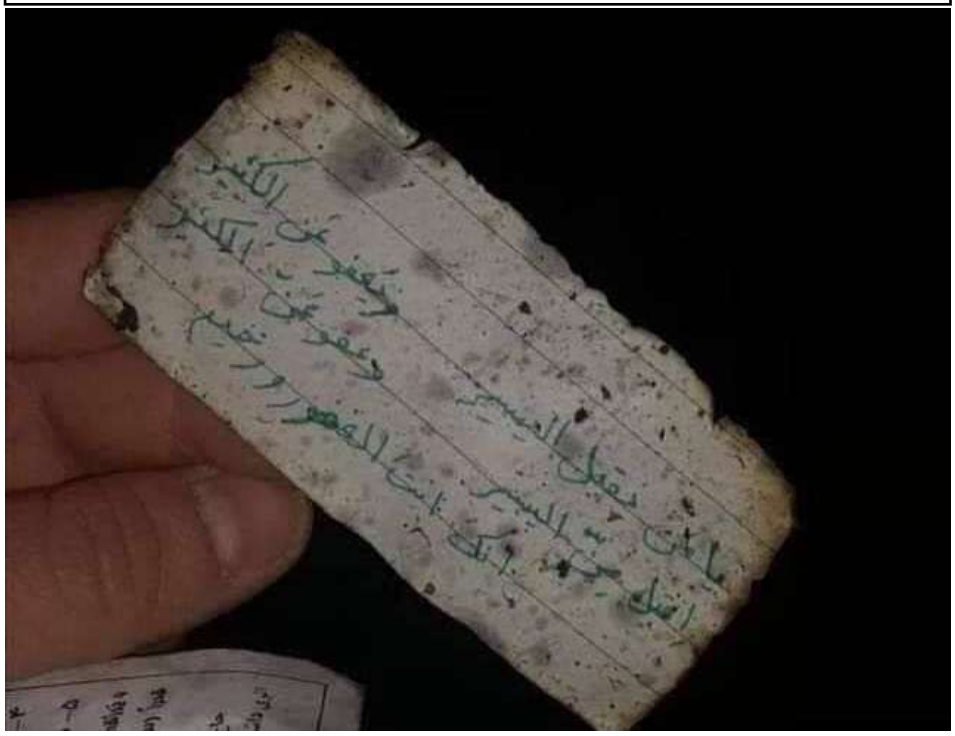

صورة لجثامين شهداء فاجعة المطار في مطار المثنى

التقطت هذه الصورة لساعة الحاج المهندس عام ٢٠١٥م، وأنا اخرج كتاب فاجعة المطار انتبهت لوقت الساعة هو ذات الوقت الذي اغتيل فيه

صورة تجمع الحاج المهندس مع الشهيد حسين جعفري مدير مكتب الحاج قاسم سليماني

صورة تجمعني مع الشهيدين الحاج المهندس والسيد الجابري

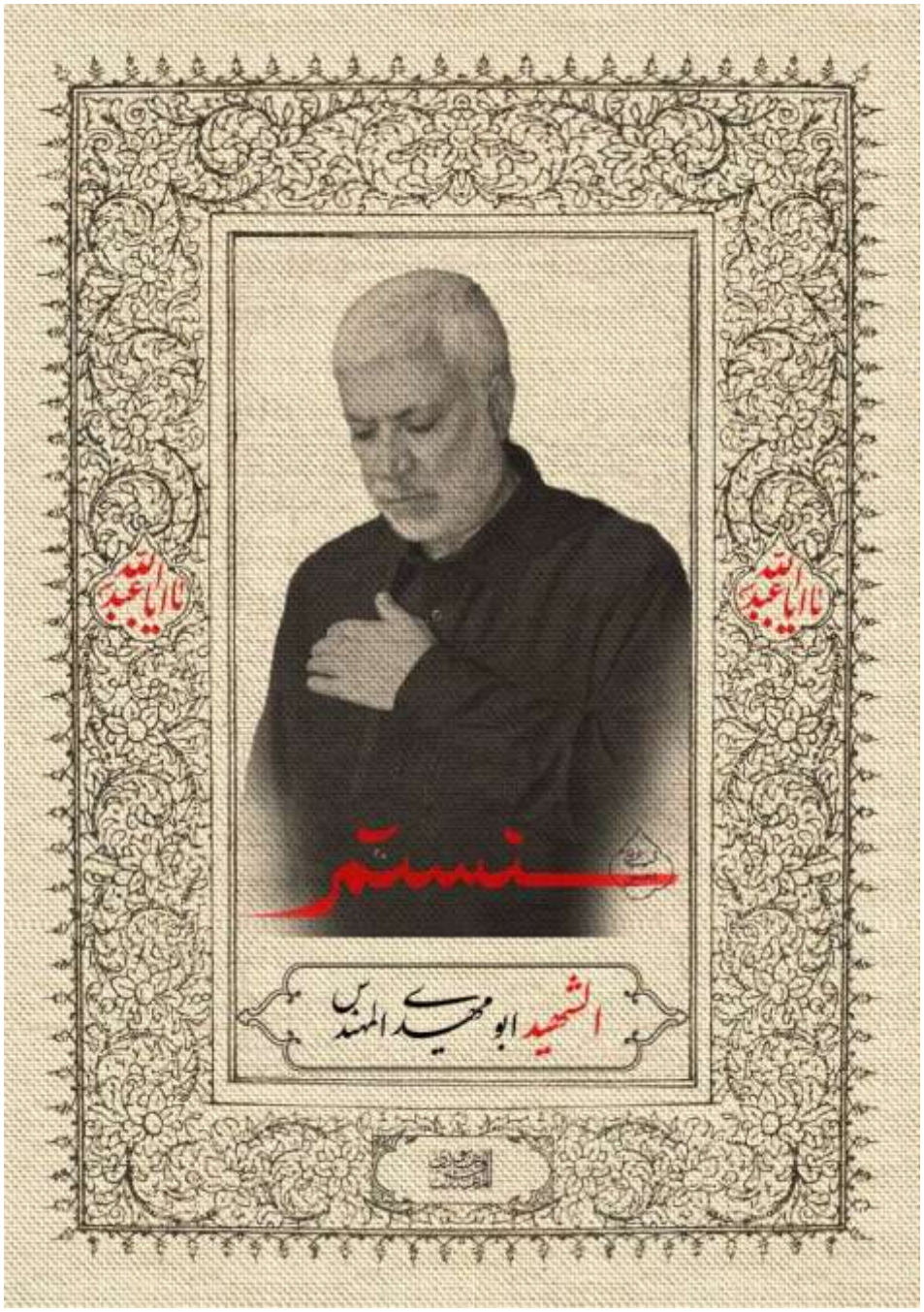

سنستمر
الشهيد ابو مهدي المهندس

الشهيد قاسم سليماني

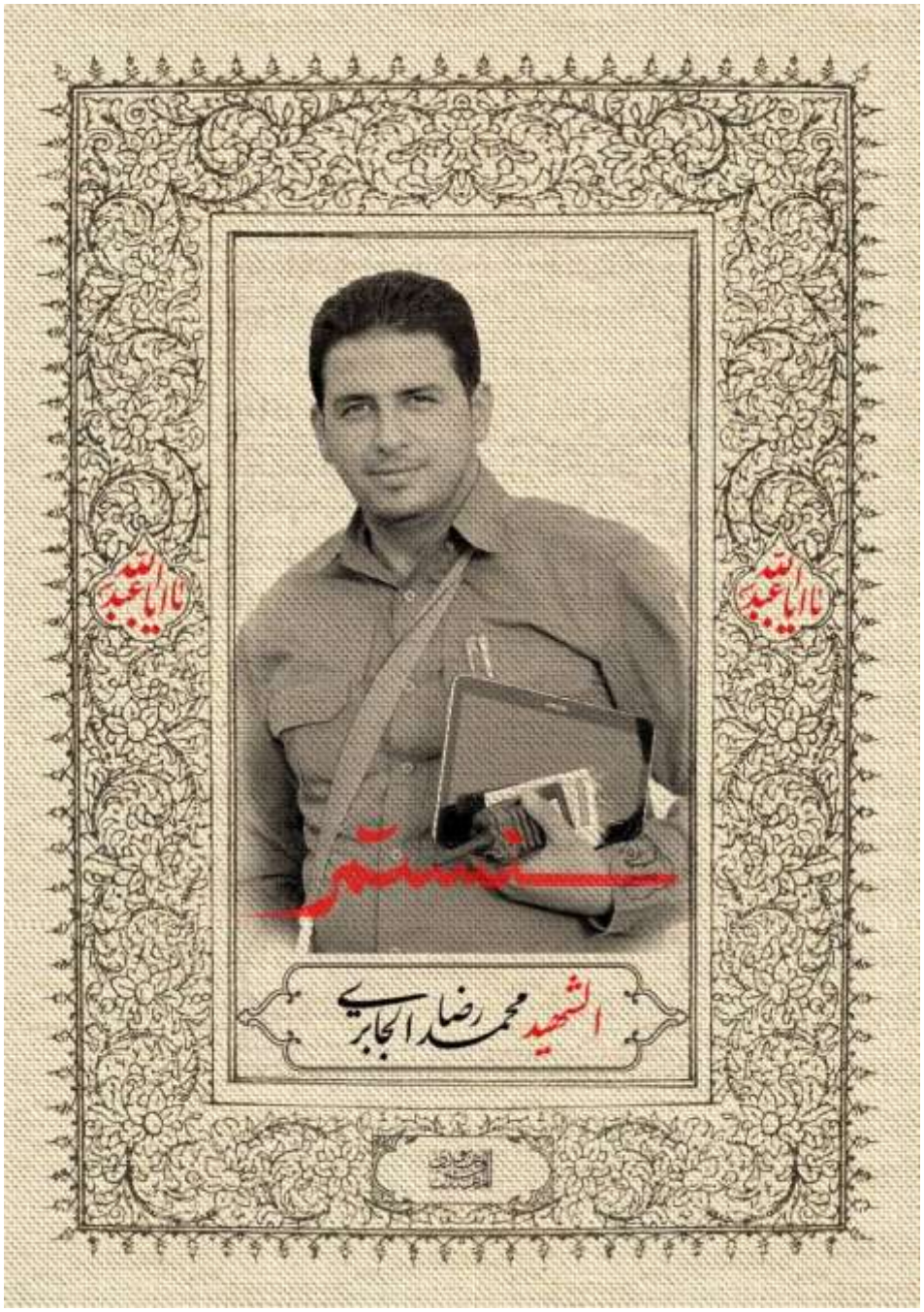

الشهيد محمد رضا الجابري

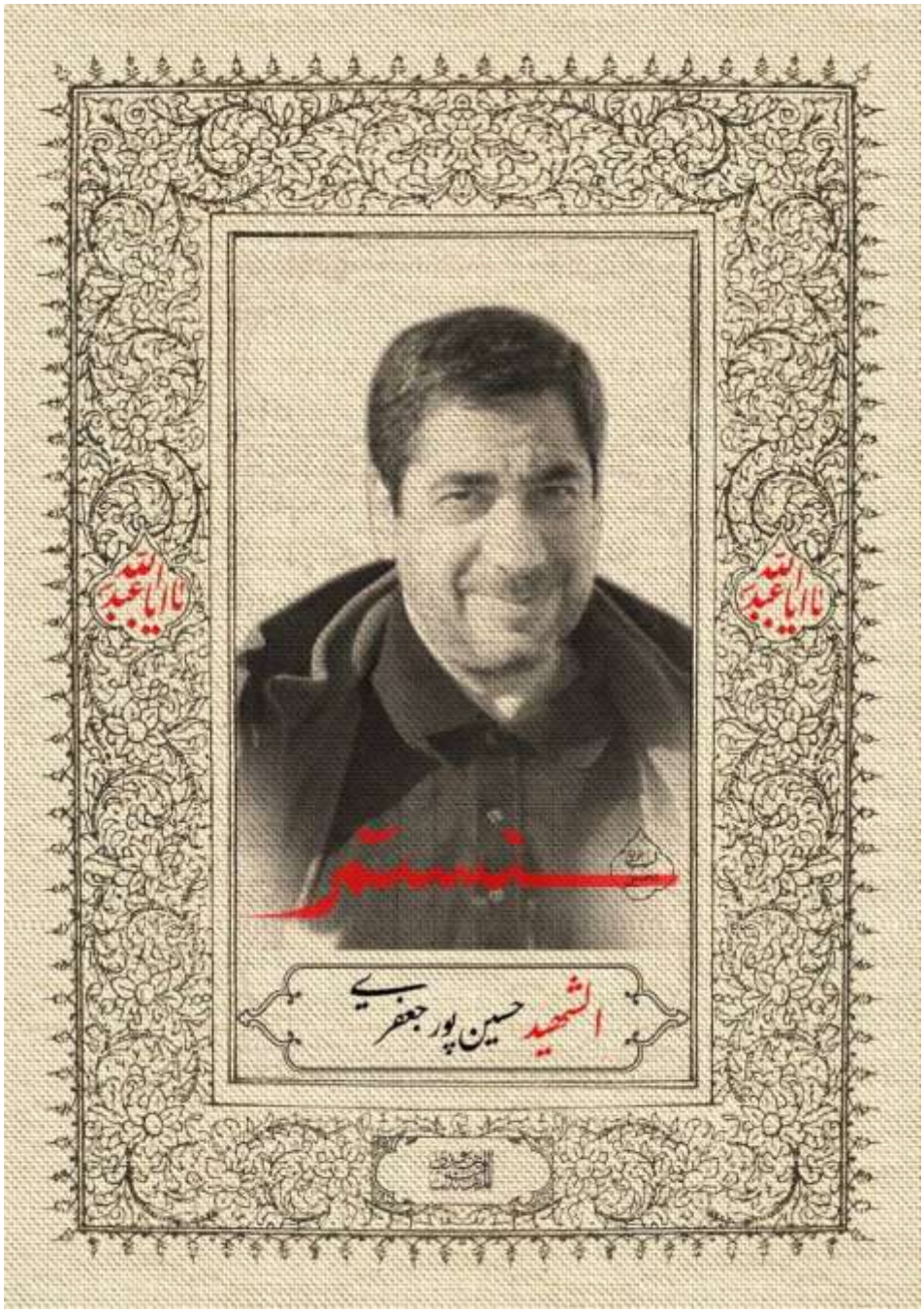

الشهيد حسين پور جعفری

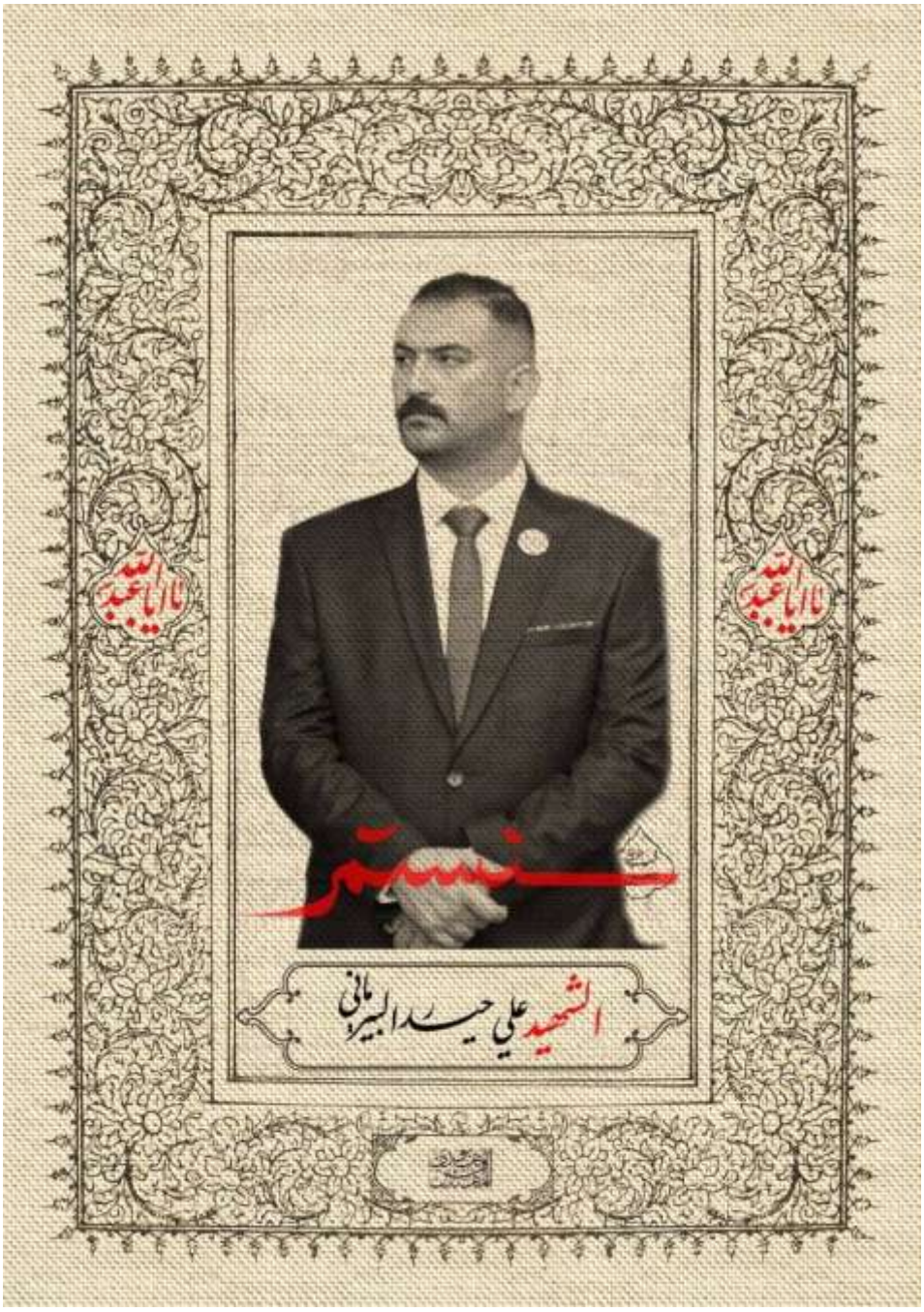

الشهيد علي حيدر البيرماني

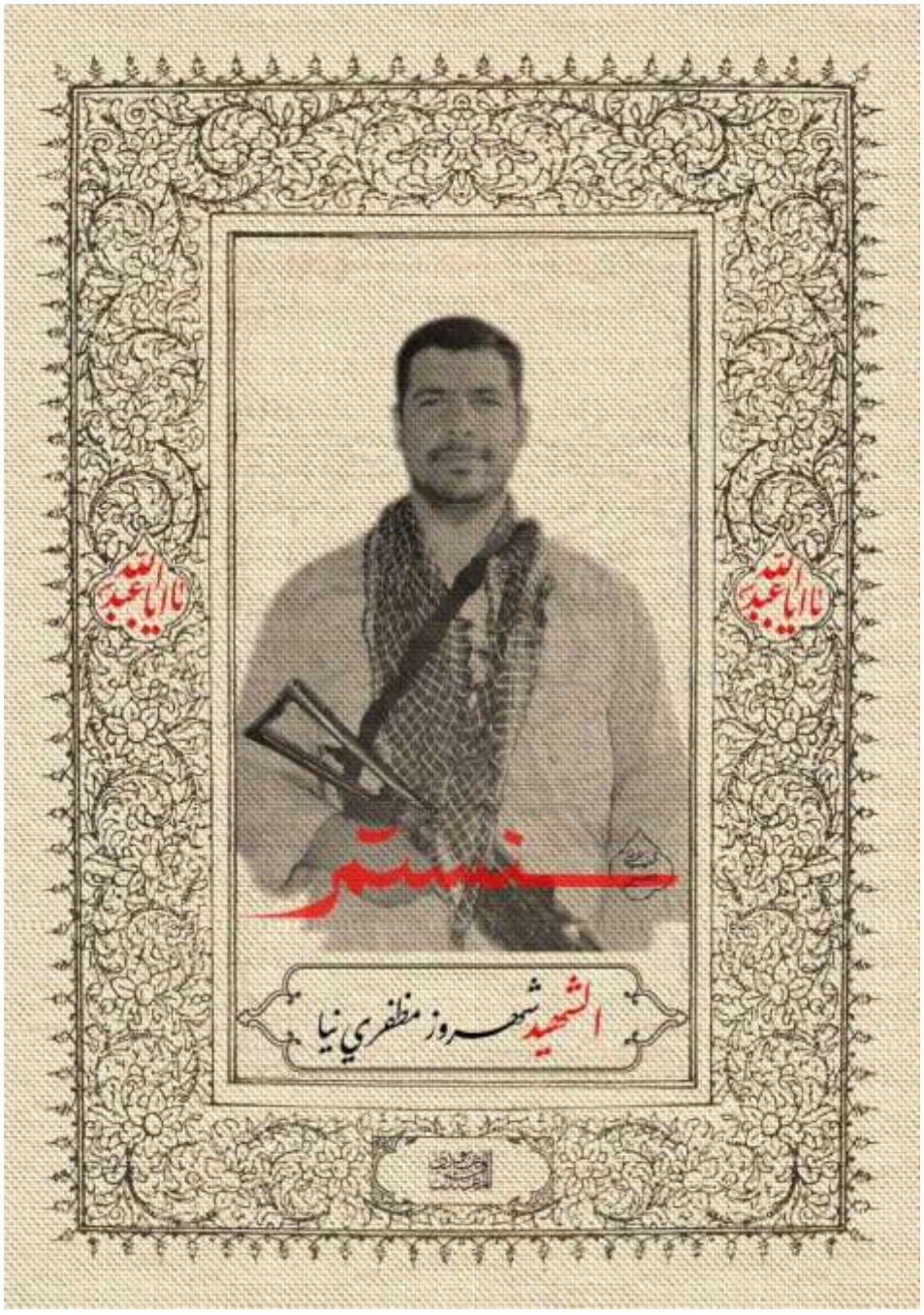

يا ثار الله
يا ثار الله
الشهيد شهروز مظفري نيا

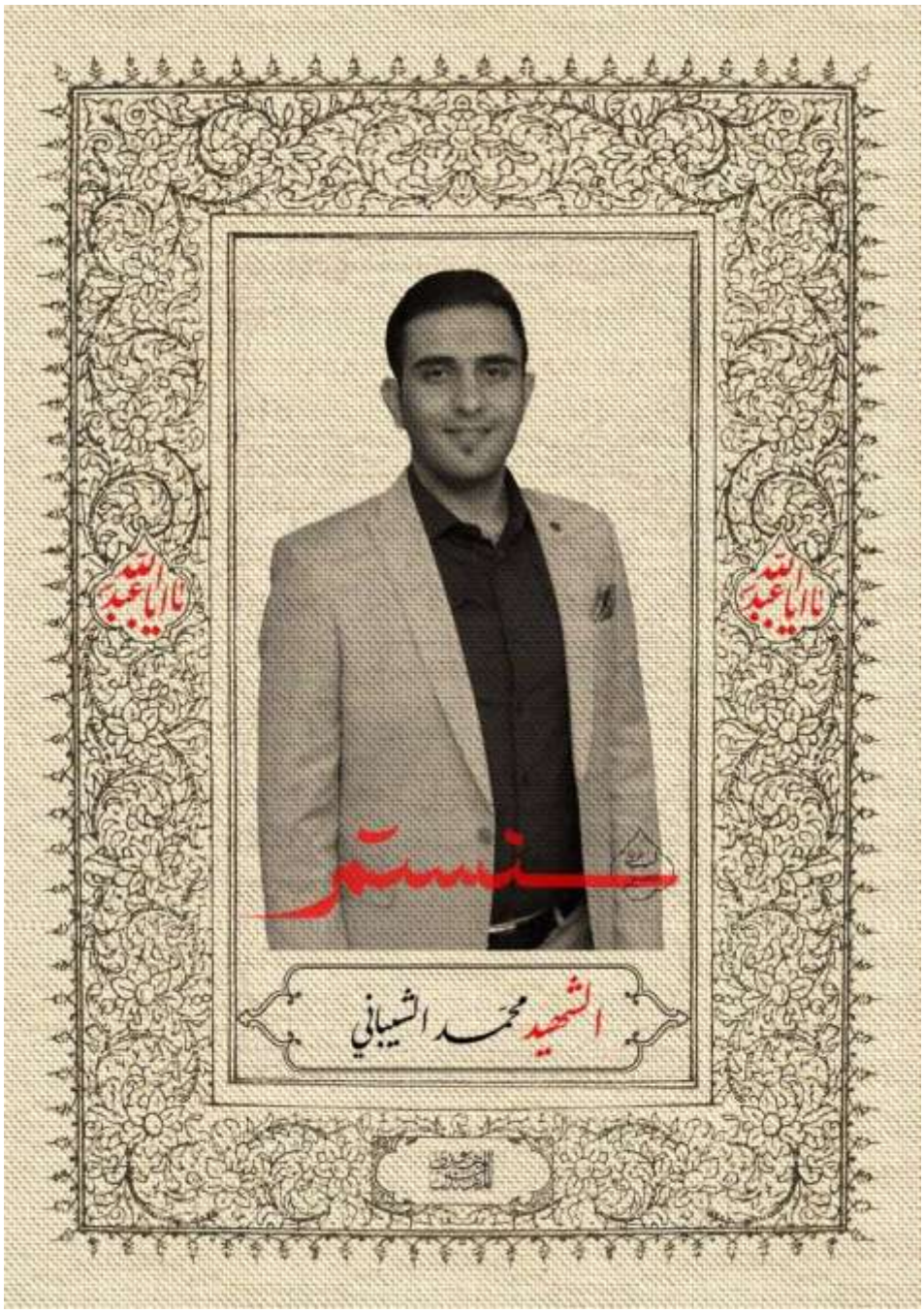

الشهيد محمد الشيباني
يا ثارات الحسين
سنستمر

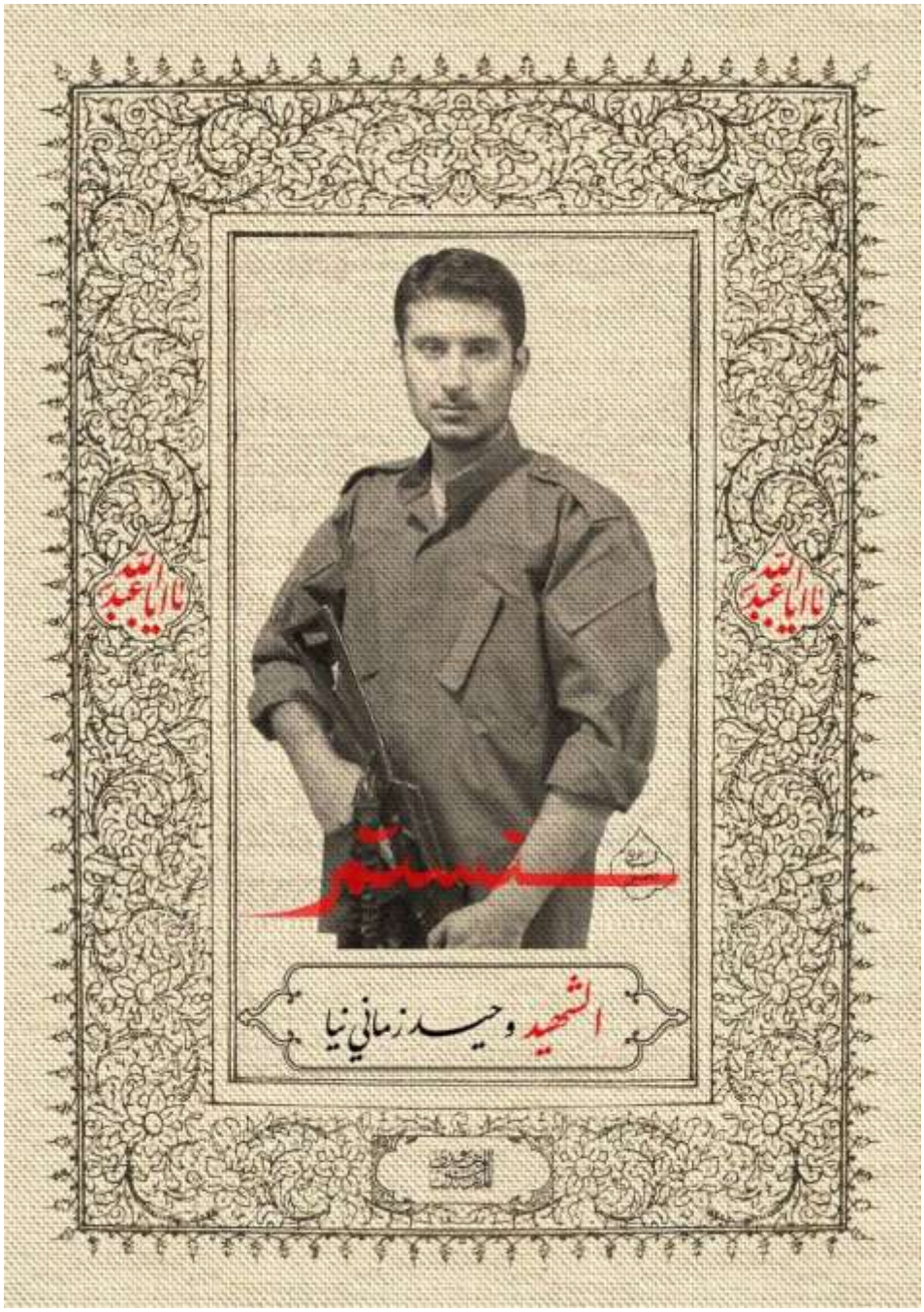

يا أبا عبد الله
يا أبا عبد الله
الشهيد وحيد زماني نيا

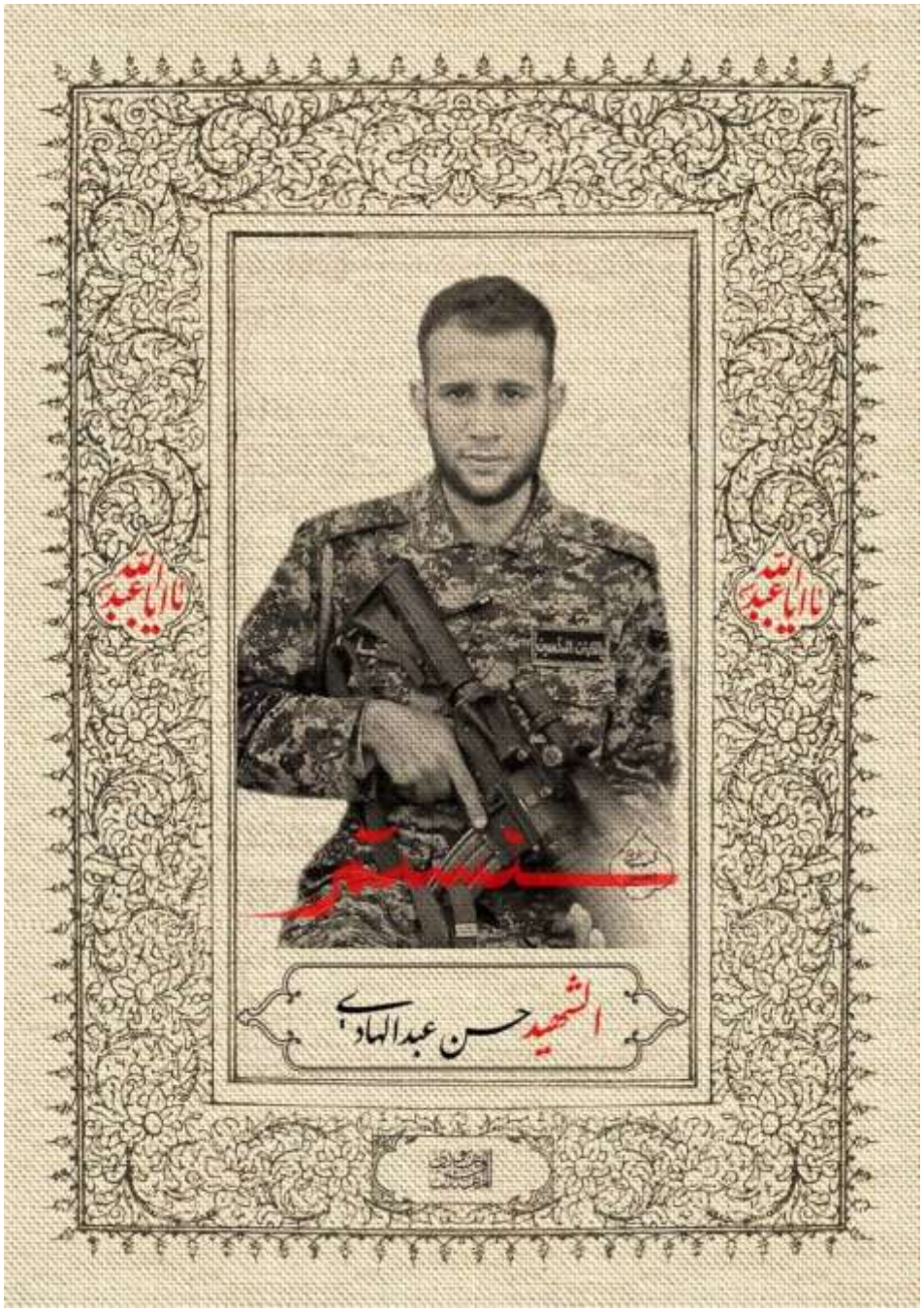

يا ثارات أبا عبد الله
الشهيد حسن عبد الهادي

الشهيد هادي طارمي

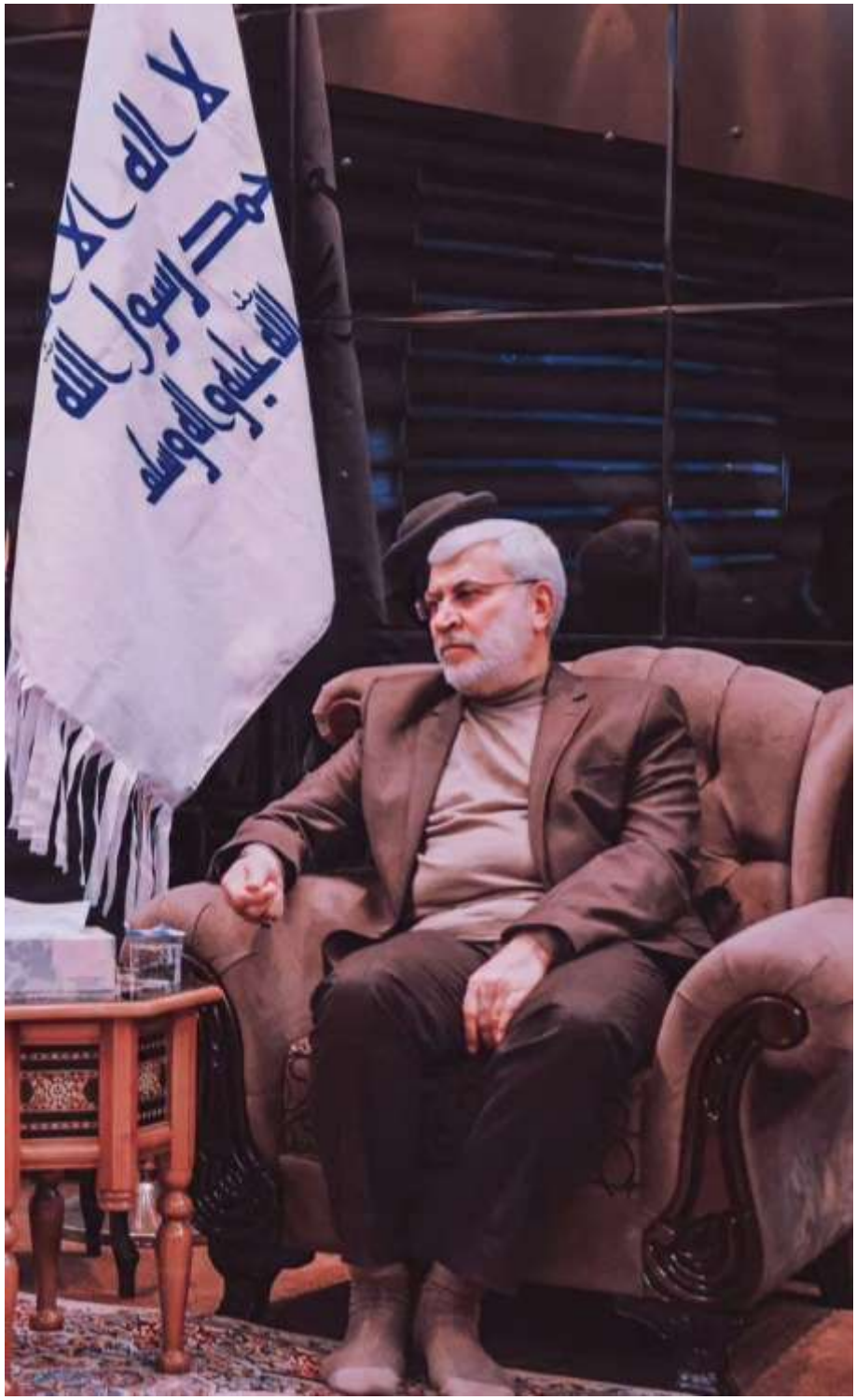
لا اله الا الله
محمد رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم

المحتويات

دليل المحتويات

كلمة مدير الإعلام ٩

المقدمة ١١

لماذا يستقبل الحاج المهندس الجنرال قاسم سليماني ١٥

القائم ١٩

اقتحام السفارة الأمريكية ٢٥

المسيّرات الامريكية ٣٩

مرافقو الحاج المهندس ٤٣

الليلة الاخيرة ٦١

اغتالوا النصر ١٣٥

رحل الحبيب ١٤١

بكيت لفراق الحبيب ١٤٥

يمه صحبانك استشهدوا ١٤٩

موت والدي أهون عليَّ من شهادة الحاجين معاً ١٥١

إلهي لا تأخذهم معاً ١٥٣

خطاب المرجع الأعلى ١٥٧

البرلمان العراقي ١٥٩

من بغداد إلى طهران ١٦١

المقبرة التي دفن فيها الحاج المهندس ٢٠٣

رسالة المرجع الأعلى ٢٠٧

من هو الخائن ٢٠٩

كي تتضح الصورة ٢١٩

أنا وريثك ٢٢٥

والدة الشهيد علي حيدر ٢٢٩

تشرين أولادنا ٢٣٣

أمريكا شرٌّ مطلق ٢٣٥

المرافق الشخصي ٢٣٧

الثأر ٢٣٩

النهاية ٢٤١

الملحق الصوري ٢٤٣

المحتويات ٢٦٧

فاجعة المطار

عرض وبيان لفاجعة الغدر على قادة النصر

بقلم أبي لواء البهادلي

المؤلف

شعرتُ بأنَ أيادي الشهداء المقطعة هي من تأخذ بيدي من أجل أن أكتب عن تلك الأحداث والليلة الدامية؛ لتطّلع عامة الناس على مظلوميتهم في هذا الكتاب الذي وسمتُه بـ: (فاجعة المطار) كنت بأمل قبل أن أنهي هذا الكتاب أن يؤخذ الثأر، وأكتب في كتابي هذا قصة بعنون الثأر، وأبقى أتحدث عن تفاصيل الثأر، وكيف أخذ وماذا حقق لنا من ثمرات. لكن للأسف انتهى الكتاب ولم يؤخذ الثأر..

بقلم
أبي لواء البهادلي

الحشد الشعبي
مديرية الإعلام